

خافضة الزيت

ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ (فبراير/مارس ١٩٧٩ م)



- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في قافلة الزيت يبرع عن آراء الكتاب أنفسهم .
- ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن انجاسها .
- تجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إاذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

المحتويات

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام . المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب . رئيس التحرير: عبدالله حسين العامري . المرسل المساعد: عوفي أبوكشك



- ١ مع العربية في مساقف التاريخ
من تجربة الشعر إلى الوحي
د. نقولا زبيدة
- ٦ الغوص ورواد الأعماق
سليمان نصر الله
- ١٣ القصيدة السعودية
د. محمد عبد المنعم خفاجي
- ١٧ فلاح . قصيدة
اليمان قصيد
- ١٨ الشركة العربية لبناء
وأصلاح السفن في البحرين
إبراهيم أحمد الشنيطي
- ٣٢ طريق الحياة . قصيدة
فهد عيل النفيضة
- ٣٣ الأدب العربي والآداب العالمية
د. جميل علوش
- ٣٥ دمنة وفاء على الشاعر
محمود أبو الوفا
الغزالي حرب
- ٣٨ كتاب الملع . من حصائد الكتب
عبد الرحمن شلش
- ٤٠ التعمير في عهد النبي
يوسف عليه السلام
بشري أمين
- ٤٣ كتب مهتدة
- ٤٤ الدم .. مآهوم
د. أحمد مفلح

صورة الغلاف :

يعتبر الدهان من أكثر أعمال الصيانة اللازمة للسفن بشكل عام . ويتم ذلك من قبل فنيين وبأدوات متطورة .

مع العربية في مساهمة التاريخ

من تجربـة الشعـر إلى الويـسـة

يَقَم : الدكتور نقولا زيّادة



لَت الشعوب التي استعملت اللغات السامية بدأت ، في الألف الرابع قبل الميلاد على أقل تقدير ، تغذي الثقافة العالمية بنتائجها الأدبي والعلمي فقد ظهرت فيها أساطير تعبر عن أشواق الإنسان وآماله وأمانيه ، وأنتجت أدياناً ، وثنية وموحدة ، واختيرت أحداها العربية ، أداة للوحي الذي نزل على النبي قرآناً كريماً ، ودونت فيها الشرائع من زمن حمورابي على الأقل ، وكتبت فيها علوم فلكية ورياضية على ما ظهر من الإجراءات البابلية وغيرها ، واحتوت شعراً أنيقاً لطيفاً . ومع أن بعض هذه اللغات قد مات بحيث لا يعرفه اليوم إلا المتخصصون في دراساتها ، فأثارها لا تزال معروفة . وبحكم الاتصال المستمر ، زماناً ومكاناً ، بين هذه الشعوب انتقلت الآراء والصور من بقعة إلى أخرى ومن شعب إلى آخر ومن أدب إلى أدب وهذه قصة الخليفة البابلية ، على سبيل المثال ، تشبه قصة الخليفة على ما وردت في سفر التكوين من العهد القديم . وقصة غلغامش لها صور بابلية قديمة وفينيقية تعاصرها أو تلحق بها في الزمن قليلاً .

واللغات السامية انتشرت أصلاً في الرقعة التي تشغل اليوم شبه الجزيرة العربية وديار الشام والعراق ، مع العلم بأنه كان لها امتداد إلى الحبشة على الأقل ، وليس بين الباحثين أي اتفاق على أي من هذه اللغات هي اللغة الأم ، ولكن ذلك ليس أمراً هاماً ولكن الباحثين يتفقون على تقسيم اللغات السامية إلى قسمين : شرقية وغربية . والشرقية منها يدخل في عدادها البابلية والآشورية . أما الغربية فشمالية منها تشمل الكنعانية والفينيقية والآرامية والعبرية ، فيما تشمل الجنوبية منها : العربية والعربية الجنوبية التي منها السبئية والمعينية والحضرية والحبشية . وهذه في الواقع لهجات أكثر منها لغات متباينة مختلفة .

وهذه اللغات السامية لها خواص تتفق فيها معظمها ، إن أصول الكلمات ، أو أكثرها على الأقل ثلاثية في أصلها ، وتتكون من ثلاثة حروف هي الفاء والعين واللام ، وإن كان فيها كلمات ثنائية الأصل فعل يضاف إلى أوله أو وسطه أو آخره حرف أو أكثر فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة . وتشابه هذه اللغات في تكوين الأسماء والأفعال . وفي اللغات السامية تشابه في أنواع الضمائر . فكل فيها متكلم ومخاطب وغائب ، وإن كان بعض اللغات خسر واحداً من هذه

الضمائر مع الزمن . وهذه الضمائر تتصل مع الأفعال . وثمة شبه آخر بين هذه اللغات وهي أنها كلها فيها زمانان رئيسيان للفعل . التام والناقص أو الماضي والمستقبل . واللغات السامية فيها وفرة في كلماتها كما أنها مطردة في قياسها ومخارج الحروف فيها واضحة . وتشابه اللغات السامية بتغير الحركات في وسط الكلمات ، وبتغيرها يتغير المعنى ويتنوع .

وبعد أن هذه اللغات أو اللهجات السامية التي وصلت إلينا أخبارها وآثارها أو تلك التي لا تزال حية مستعملة إلى الآن ، هي في واقع الأمر نتيجة لامتزاج بين لهجات أخرى حدث في عصور مختلفة . بحيث أن لهجتين قد تندمجان تدريجياً ويتكون من ذلك لهجة واحدة . وهكذا فإن اللغات السامية كانت تغلب الواحدة على الأخرى فتتروى المغلوبة أما نهائياً أو لفترة من الزمن . فالكنعانية والفينيقية والبابلية والآشورية زالت . وقد جاء وقت تغلبت فيه الآرامية على اللغة العبرية ، بحيث أن جميع السكان في أجزاء من بلاد الشام ، بما في ذلك عدد كبير من اليهود ، كانوا يتكلمون الآرامية فقط . وظلت العبرية لغة الشؤون الدينية فقط .

واللغة العربية لها صفات تمتاز بها وقد حافظت عليها . فمنها أنها لغة معربة . وأعرابها مكن لمستعملها أن يتلاعبوا بتركيب الجمل بحيث يمكنهم أن ينوعوا الأسلوب وترتيب الكلمات . فكان هذا يعطيها ، في كثير من الأحيان ، رونقاً خاصاً ، وإن كان يضيف إلى صعوبة استعمالها وتعلمها . ومن خصائص العربية كثرة المترادفات فيها . والباحثون في هذا الموضوع متفقون على أن ذلك يرجع إلى اندماج لهجات مختلفة ببعضها البعض . فاحتفظت اللهجة أو اللغة الناتجة عن ذلك بأكثر من كلمة واحدة لمسمى واحد ، أو لفكرة مجردة واحدة . ولا شك أن هذا كان مما يسر للعربية أن تتجمل وتأنق وتبرج ، وإن يتمكن أهلها من التحرر في التعبير . على أن خطراً قد يكمن في مثل هذه الحالة إذا كان الكاتب لا يدرك الفروق التي قد توحد بين المترادف والمتوارد . فالترادف ، في أغلب الحالات ، قد أصبح يؤدي معاني مختلفة بالنسبة إلى هذه الكلمات .

والعربية ميزة أخرى وهي الاشتقاق . فالكلمة الواحدة ، عن طريق توسعها داخلياً ، تستطيع أن تزيد في ثروة المفردات . ولعل خير مثل يقدم على ذلك ، وهو يقدم للتذكير فقط ، هو المزيادات في الأفعال . فزيادة حرف في مكان ما ، يؤدي إلى تنوع المعنى . لكن الاشتقاق في

اللغة أوسع من هذا مدى وأبعد في تكوين المفردات الجديدة أثراً .

واللغة العربية ، حتى قبل الإسلام ، كانت لها شخصية خاصة . ففي ألفاظها موسيقى وفي أوزانها دقة وفي النطق بها جرّس ولها في الأذن وقع . وكانت قد وصلت في تراكيبها إلى درجة كبيرة من البلاغة ، كما أن قواعدها قد اكتسبت تنسيقاً منطقياً ، هذا بقطع النظر عن الاستثناءات .

واللغة ، من حيث الاستعمال ، أداة يعبر بها الأفراد والجماعة عما يختلج في النفوس وتضطرب به القلوب وتأمله العقول . وقد يكون التعبير شعراً كما يكون نثراً ، وصلاحيّة اللغة ، أي لغة ، تتوقف على الشعب الذي يستعملها . ففي القرن العشرين توجد لغات بدائية لأن الشعوب التي تنطق بها بدائية في حياتها وتفكيرها . أما بالنسبة للغات السامية فليس لدينا شيء عن الدور البدائي الذي عاشته الشعوب التي اتخذت تلك اللغات أداة للتعبير . ذلك بأن الذي وصل إلينا من اللغات التي اندثرت جاءنا مكتوباً أو منقوشاً ، أي بعد اختراع الكتابة . واختراع الكتابة بحد ذاته دليل على تقدم كبير في حياة الشعوب .

وهذه المدونات التي كشف عنها التنقيب الأثري ، والتي تخص اللغات السامية المندثرة ، ذات محتوى هام . وبين محتوى واحدة من تلك اللغات وأخرى فروق ، وذلك بأن المحتوى يتوقف على اختلاف التجربة الثقافية والحضارية التي مر بها ذلك الشعب الذي استعمل اللغة . ومحتويات اللغات السامية تظهر درجة متقدمة من الثقافة والحضارة وغنى في الأدب . والفروق في المحتويات هي فروق واختلافات من حيث الدرجة والمدى . ومثل هذه الفروق تبدو واضحة لدى دراسة الآجرات البابلية والآشورية ومخلفات الحضارة الفينيقية من جهة ودراسة الأدب السرياني القديم من جهة أخرى .

في العصور السابقة للإسلام ، والقريبة منه نسبياً ، قامت في شبه الجزيرة العربية دول كان لها بالعالم الخارجي اتصال ، وكانت لها بلاطات فيها الكثير من الأدب . وكانت الجزيرة العربية تعرف الكثير من الأسواق التي كان يؤمها التجار لبيع سلعهم ، كما كان يقصدها الشعراء في أحيان كثيرة للتفاخر . فمن الدول التي كانت في الجنوب ، مثلاً ، سبأ وحمير ، حتى لا نعود إلى فترات أوغل في التاريخ فتتحدث عن معين وقتبان وما إليهما . وفي الشمال كانت هناك مواطن المندثرة في الحيرة ومنازل غسان في مشارف الشام ، وتدمر بين الشام والعراق .

هذا الى منازل كندة في الوسط . ولسنا نريد أن نتحدث عن تاريخ هذه الدول أو البقاع ، ولا أن نفصل مآتيها الحضارية والأدبية ، ولكننا نذكر هذا لتقول بأن العرب لم يكونوا معزولين بالقدر الذي يصر عليه بعض الكتاب . وإذا تذكرنا أن جاليات يهودية ونصرانية كانت مستقرة في بعض مناطق الجزيرة ، أدركنا أن الاتصال لم يكن تجارياً أو عسكرياً فحسب ، ولكنه كان روحياً أيضاً .

ولم يكن بد من أن تتأثر العربية كلغة بكل هذه ، خاصة وإن بعض ما روي من الشعر إنما وجد مقامه وأثر سماعه في هذه البلاطات وفي الأسواق .

والتراث الأدبي الذي وصلنا من العصر الجاهلي ، على قلته ، كان تعبيراً عما كان يصطرع في نفوس القوم وما يعتمل في أذهانهم وما تختلج به صدورهم وتضطرم به قلوبهم . ويبدو من النظر فيه أن الشعر يغلب فيه على النثر . ولعل ذلك يرجع الى أن الشعر الى الحفظ أسرع ، وعلى اللسان أروج ، وهذا التقليد الأدبي الذي نشير اليه يرجع في أصله الى القرن السادس للميلاد على الغالب .

ولسنا نبغي في هذا الحديث أن نوغل في الابحاث المتعلقة بنوع الشعر وأصله . ولكن لا بد من الإشارة الى أن الشعر الجاهلي في أصله كان مقطوعات قصيرة تصف الطبيعة والحياة . ولكن في القرن السادس على أرجح الآراء ، تبدل هذا كله وظهرت القصيدة التي كانت تطوراً كبيراً من حيث فيها أولاً ، وتعدد الموضوعات التي تعالجها ثانياً . وأكثر الشعر الذي وصل إلينا من تلك الأزمنة يكاد

يكون محصوراً ، من حيث رقبته ، بالمنطقة الشمالية الشرقية الواقعة بين الحجاز والخليج العربي . وقد يكون معنى هذا أن اللغة العربية الشمالية التي كانت ذات قوة وسلطان ، كانت تبتلع اللهجات الجنوبية المتنقلة اليها مع عرب الجنوب ، بحيث أصبحت هي اللغة التي استعملت للتعبير عن حاجات النفس أكثر من أي لهجة عربية أخرى .

وبعد سبيل توضيح هذه التجربة اللغوية نود أن نأخذ الملاحظات نقطة انطلاق ، وليس المهم أن نصرف وقتنا في الدوران حول تسمية هذه الآثار الشعرية الرفيعة ، ولا أن نضيع الجهد في تقرير عددها أسأنا كانت أم سبعة أم عشرة . ولكن الذي يجب أن ينصرف اليه علماء اللغة ومؤرخو الأدب هو الغوص في داخل هذه القصائد لاستخراج نوع التجربة الشعرية أو ، إذا أردنا أن نستعمل كلمة شاعت وذاعت مؤخراً ، قلنا المعاناة الشعرية .

صحيح أن أكثر هذه القصائد لها بناء معين يكاد يكون متسقاً فيها كلها بدءاً من مناجاة الاطلاع الى وصف

الناقة أو الفرس الى بقية الأمور . وهذا البناء المشابه كان أحد الأسباب التي حملت بعض النقاد على اعتبار هذا الشعر ، أو أكثره أو بعضه منحولاً . ولكننا نود أن نذكر أنفسنا أن الكثيرين ممن قالوا بذلك في العصور الحديثة لم يعرفوا البوادي والقفار التي عاش فيها الشعراء والتي نظم الشعر فوقها . فأنت تسير ساعات في السيارة أو أياماً على ظهر البعير ، فلا يتغير المنظر أمامك . هذه الاستمرارية في الأرض والجو هي التي جعلت هذا البناء يظهر بهذا الشكل . فالقصيدة كانت نتيجة هذه العوامل الطبيعية جمعاء . ومن المهم أن نذكر أيضاً أن هذه القصيدة الطويلة ، أو المعلقة ان كان البعض يفضل هذه التسمية ، كانت متنوعة الموضوعات ، وكان الموضوع الرئيسي في كل منها يختلف عن الأخرى . فمن قال ان الموضوع الرئيسي في قصيدة امرئ القيس هو نفسه في قصيدة زهير بن أبي سلمى ؟ ومن اعتبر ان ما رمى اليه عنزة في معلقته هو ما رمى اليه لبيد ؟ صحيح ان كلا من هذه القصائد فيها فخر ، ولكن حتى الفخر كان الدافع اليه مختلفاً . والا فهل كان فخر عمرو بن كلثوم مثل فخر عنزة أو لبيد ؟ عنزة يفخر ليزيل عنه وصمة الرق واللون ، وعمرو بن كلثوم يهدد عمرو بن هند . وامروء القيس يفخر بشيء وزهير ابن أبي سلمى يتحدث عن الحلم ، ولعله كان يفخر بذلك . أتري لأننا نعتقد أن المعاناة الشعرية وقف على فئة أو زمن نحرم هؤلاء الشعراء من حقهم بأن يكون شعرهم نتيجة لانفعالات أو تأملات أو خيبة آمال أو خسارة حبيب أو مال أو مجد ؟

هذا امرؤ القيس يصف يوماً من أيام عزه فيقول :

ألا ربّ يوم لك منهنّ صالح

ولا سيّما يوم بدارة جلجل

ويوم عقرت للعدارى مطيتي

فيا عجباً من كورها المتحمّل

فظل العذارى يرتمين بلحمها

وشحم كهذاب الدمقس المقتل

تدار علينا بالسديف صحافها

ويؤتى إلينا بالعيط المشتمل

وهذا زهير بن أبي سلمى يقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

واعلم ما في اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطيء يعمر فيهمرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
وعمر بن كلثوم عندما يتهدد ويتوعد في قوله :
وقد علم القبائل من معد
إذا قب بأبطحها بنينا
بأننا المطعمون إذا قدرنا
وانا المهلكون إذا ابتلنا
وانا المانعون لما أردنا
وانا النازلون بحيث شينا
وانا التاركون إذا سخطنا
وانا الآخذون إذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدراً وطننا
وطرفة يقول :

إذا القوم قالوا من فتى خلت اني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني
وان تلتمني في الحوانيت تصطد
وان يلتق الحي الجميع تلاقني
الى ذروة البيت الكريم المصمد

هذه نماذج تظهر لنا ان الموضوع الأصلي، في أربع
من هذه القصائد الطويلة مختلف باختلاف
التجربة الشعرية . ولن أراد أن يستريد فليقرأ القصائد العشر .
ولسنا ننكر أن النقاد والرواة القدامى كان لهم رأي
في الشعر الجاهلي من حيث نحله . ولسنا ننكر أن قدراً
منه قد يكون منحولاً . ولكن نود أن نقول هنا أن بعض
هؤلاء النقاد لعلهم استكثروا على العصر الجاهلي أن تكون
له مثل هذه البلاغة والفحولة في قول الشعر ، فحكموا بأنه
منحول ، أو على الأقل قدر كبير منه .

ومع أن بعض الباحثين يؤكد على أن وجود ألفاظ
غريبة أي أعجمية في القصيدة يكون أساساً في تقرير أنه
منحول ، فنقول رداً على ذلك اننا لم يتح لنا بعد أن ندرس
الاتصال الذي تم بين العرب وغيرهم قبل الاسلام . كي
نصدر أحكاماً من هذا النوع .

فتجربة العصر الجاهلي الشعرية ، مثلة في القصائد
الطويلة تظل مسألة حرية بامعان النظر والبحث الدقيق .
وهذا البحث يجب أن يكون داخلياً وثقافياً لا لغوياً فحسب .
ولما جاء الاسلام أوحى الى النبي بالقرآن الكريم وأخذ
الناس يحفظونه ويرتلونه فملاً نفوسهم لما فيه من معان
رفيعة ودعوة صادقة وبلاغة سامية واسلوب فيه الاعجاز كل
الاعجاز . وملك على الناس لبهم ودخل شغاف قلوبهم .
وجاءت أحاديث الرسول وفيها حكمة وبلاغة . وهنا
استقرت للنثر دولة ، وتخلي الناس عن الشعر الا قلة .

ولقد كان القرآن باعجازه البياني نقلة رفيعة في تاريخ
العربية ، وحسبنا في هذا المقام أن ننقل قولاً لمصطفى
صادق الرافعي عن اعجاز القرآن فيه بيان ما نذكر ، قال :
نزل القرآن على رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، بأفصح ما
تسمو اليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وما تقوم به ،
مما هو السبب في جزالتها ودقة أوضاعها وأحكام نظمها
 واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقياً
محصناً في التركيب والتناسب بين أجراس الحروف ،
والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه .
فكان مما لا بد بالضرورة أن يكون القرآن أملك بهذه
الصفات كلها ، وأن يكون ذلك التأليف أظهر الوجوه التي
نزل عليها . ثم ان تعدد مناحي هذا التأليف تعدداً يكافيء
الفروع اللسانية التي سبقت بها فطرة اللغة في العرب ، حتى
يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه
الفطري ولحجة قومه توقيعاً يطلق من نفسه الأصوات الموسيقية
التي يشيع بها الطرب في هذه النفس ، بما يسمونه في لغة
العرب بياناً وفصاحة ، وهو في لغة الحقيقة الموسيقى اللغوية .

واذا تم هذا للقرآن مع بقاء الاعجاز الذي تحدى
به ، ومع اليأس من معارضته ، على ما يكون في نظمه من
تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات بحسب
ما يلائم تلك الأحوال في مناطق العرب ، فقد تم له التمام
كله ، وصار اعجازه اعجازاً للفطرة اللغوية في نفسها حيث
كانت وكيف ظهرت ومهما يكن من أمرها : ومتى كان
العجز فطرياً فقد ثبت بطبيعته ، وان لج فيه الناس جميعاً ،
لأنه شيء في تلك الفطرة يفهم منه صريحاً ثم لا تنكر هي
موضعه منها وموقعه . وان كابرته فيه الألفاظ وبالغت الأهواء
في جحده والانتفاء منه مسراء ومغالبة .

وقد كثرت في أيام الرسول والخلفاء الراشدين
والأمويين الخطب السياسية . ومع أن الشعر
رجع له بعض مما كان له من قبل ، فان الأساليب النثرية
هي التي فضلت في تلك الأيام .

واللغة التي أنزل بها القرآن ، كما قال الراجعي ، هي هذه اللغة التي كان العرب قد اهتموا اليها قبل البعثة من حيث قواعدها واستعمالها . ولكن القرآن جاء فيها على أكمل ما يمكن أن تصل اليه ، والذين كتبوا وخطبوا في صدر الاسلام استعملوا هذه اللغة الجاهلية نفسها . وذلك بأنها كانت قد اكتملت . أما الذي حفظ لها كيانها بعد الاسلام وأدى الى انتشارها وتوسع رقعة استعمالها فهو القرآن الكريم نفسه ، لما أقبل الناس عليه قراءة وتفسيراً وجمع غريب وبلاغة ونحواً وما الى ذلك .

واذا كانت اللغة أصلاً أداة للتعبير ، ولم تكن العربية تختلف في ذلك عن غيرها من اللغات ، فإن اختيار الله اللغة العربية لغة الوحي جعل منها أداة ممتازة . ذلك بأن المعاني التي حفل بها القرآن من حيث الايمان والعقيدة ومكارم الأخلاق ، والصور التي نجدتها فيه من وصف الجنة والنار وغيرهما ، والقواعد الشرعية والخلقية التي استنها للمؤمنين ، وقصص الأنبياء والرسول والامثال التي ضربها توضيحاً للأهداف والغايات ، والأسس التي فرضها على المسلمين في علاقاتهم بغيرهم ، والوصايا التي حث الناس على اتباعها في علاقاتهم ببعضهم البعض ، كل هذه وغيرها كثير مما لا يمكن حصره ، كان شيئاً جديداً على اللغة العربية . فالقرآن اذن لم يكن سبباً في تثبيت اللغة العربية اسلوباً وبلاغة وتركيباً فحسب ، بل أنه فعل بالنسبة الى اللغة أكثر من ذلك بكثير . لقد حملها كل هذه المعاني التي ذكرنا بعضها . ومعنى هذا أن اللغة تفتت عن آراء جديدة وصور مستحدثة ، وانها وسعت اطاراً ونطاقاً بحيث أصبح في استطاعتها أن تسع كتاب الله لفظاً وغاية . وهذه نقلة باللغة العربية ليس من السير التحدث عنها هنا بأكثر من هذه الإشارة .

ونحن اذا تذكرنا العلوم التي نشأت في اللغة العربية بسبب وجود القرآن الكريم ادركنا معنى هذا الذي نقصده . ومع أنه من الممكن أن نجد أسباباً أخرى لنشوء بعض أنواع علوم اللغة ، فاننا نعتقد أن القرآن كان السبب الأول في نشوء هذه العلوم جملة وتطورها . ولنشر الى القراءات والتفسير فقط على سبيل المثال . فقد تدارس العلماء القراءات وأفردوا لها مؤلفات كثيرة للتأكد من المعنى المقصود وسبيل اتباع الطريق السوي في ذلك وارتباط هذا الأمر بالحروف . ولسنا نخطيء ، فيما نعتقد ، ان نحن ربطنا بين التجويد واحكامه والقراءات . فان الاحتفاء بترتيل القرآن كان باعثاً على درس التجويد ووضع قواعده .

أما التفسير فقد كان أوسع من ذلك مدى ، لأنه كان يقتضي توضيح ما في القرآن لفظاً ومعنى . والمفسرون الممتازون لم يكونوا علماء في اللغة فحسب . اذ أن مثل هذه المعرفة لم تكن كافية ، فان لم يدرك المفسر مختلف وجوه المبنى والمعنى ، لا يستطيع أن ينقل ما يجب نقله عن أي الذكر الحكيم الى قرائه أو طلابه . واتقان التفسير كان يقتضي معرفة التاريخ واخبار الأمم وبالعالم وما فيه والسماوات العلأ وما تحتويه . هذا فضلاً عما كان في الآيات من اشارات الى معاني العقيدة أو تفصيل لها .

وما كان من الممكن أن تستنبط القواعد الشرعية من القرآن الكريم قبل أن تتضح معانيه المفصلة للمشتغلين بهذه الموضوعات . واذا تذكرنا أن السنة النبوية كانت متممة للوحي من حيث أنها تفسر له ، فقد ارتبط الحديث وعلومه بالتفسير أيضاً . فاذا أخذنا الطبري مثلاً على ذلك وقرأنا تفسيره لآي من آيات القرآن وجدناه يوضحها لغوياً ويستشهد بالحديث وقد يورد الشعر لتثبيت معنى . وهذا هو ، عندما يفسر كلمة « الأل » في قوله تعالى « لا يرقبون في مؤمن الا » يقول : وأولى الأقوال بالصواب أن الال يشتمل على معان ثلاثة ، هي : العهد والعقد والحلف ، والقربة ، والله . فاذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعم ذلك معانيها الثلاثة . فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قربة ولا ميثاقاً .

ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القربة قول ابن مقبل « أفسد الناس خلوف خلّفوا قطعوا الال واعراق الرحم » بمعنى قطعوا القربة .

وقول حسان بن ثابت :

لعمرك أن الك من قريش

كان الشغب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل :

وجدناهم كاذبي الهم

وذو الال والعهد لا يكذب

من هذا المثل البسيط يتضح لنا أن القرآن الكريم فتح أمام الناس علوماً كثيرة لتفسيره ، ذلك لأن معانيه واسعة جداً . والذي نود أن نخلص اليه هو أن نزول الوحي باللغة العربية كان أعظم تجربة لتلك اللغة وأكبر دافع لها لأن تتسع آفاقاً وتتفجر معاني وتتفق آثاراً ، فضلاً عن أن انتشار الاسلام وحاجة المسلمين الى قراءة القرآن مد في الرقعة التي انتشرت فيها العربية غرباً وشرقاً .

نقولا زيادة - بيروت

الخُوصِيّ

وَرُوَادُ الْأَعْمَاقِ

لدينا أعماق البحار، كارتياح أجواز الفضاء، حلم راود الإنسان منذ أزمان سحيقة، فقد تلاقى الإنسان لاقتحام تلك العوالم الغريبة الكامنة في قعر المحيطات بغية الوقوف عليها والافادة منها، فتعلم الغوص، وابتكر أجهزة ووسائل متنوعة تساعده على البقاء مدداً أطول تحت الماء، ولم تلبث مهنة الغوص أن كسبت أهمية بالغة في الآونة الأخيرة مع التقدم التكنولوجي في أساليب الحفر بآبار النفط في المناطق المغمورة. وقد ضرب سكان الخليج العربي منذ القدم بسهم وافر في ميدان الغوص سعياً وراء اللؤلؤ المكنون في قعر الخليج.



نموذج لبذلة غوص
استُخدمت في القرن
السادس عشر حيث
يربط كيس ضخم
منفوخ حول أذني
الغواص للتنفس.

ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية المؤرخ «بليني» - Pliny الذي عاش في القرن الأول الميلادي. كما عثر على لوحة صليانية في مدينة «أور» بالعراق يرجع عهدها إلى خمسين قرناً خلت، وتشير الكتابة عليها إلى عيون السمك أي الآليء التي كانت تستوردها «أور» من «دلمون» أي البحرين. وتدل أكوام المحار التي وجدت على الساحل الغربي من البحرين مؤخراً على أن مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ كانت قائمة قبل ٤٠٠٠ سنة.

لست صناعة اللؤلؤ التي سادت قروناً طويلة لم تلبث مع مطلع هذا القرن أن تقلصت بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي في اليابان من ناحية، وتدفق البترول في الخليج من ناحية أخرى، مما صرف الناس عن مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ والانخراط في أعمال صناعة الزيت المشبعة. وكان موسم الغوص يمتد عادة من شهر مايو إلى شهر أكتوبر، وهو من

في قعر البحر في حدود إمكاناته ومعارفه. ومع التقدم العلمي في هذا القرن خبطت مهنة الغوص خطوات واسعة بابتكار أجهزة دقيقة تمكن الغواص من البقاء مدداً أطول تحت الماء للقيام بأعمال متنوعة. لا يعرف على وجه التحديد أين ومتى بدأ الإنسان يمارس مهنة الغوص وخاصة الغوص الهادف، بيد أن المصادر التاريخية القديمة تشير إلى أن سكان الخليج مارسوا هذه المهنة منذ أزمان طويلة بحثاً عن اللؤلؤ، تلك الثروة التي نعم بها الخليج حقبة طويلة من الزمن، وخاصة في الشواطئ الغربية من الخليج التي تشمل سواحل المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وعمان. وصيد اللؤلؤ صناعة كانت، حتى وقت قريب، مصدر رزق لكثير من أبناء الخليج. ومع ما يكتنف مهنة صيد اللؤلؤ من مخاطر وأهوال إلا أن بريق اللؤلؤ الأخاذ في أعماق البحر كان دائماً يستهوي أبناء الخليج فنهون في سبيل الحصول عليه المخاطر والصعاب. واللؤلؤ معروف منذ العصور القديمة، وقد اكتسبت صناعته البحرين صيتاً ذائعاً.

لعد من المفيد، ونحن نحث الخطى في غمرة هذه الحياة المتشعبة، أن نتوقف قليلاً لننظر إلى الوراء ونأمل فيما حولنا من منجزات علمية رائعة، لنقف على كيفية نشأتها. فالأعمال التي يحققها إنسان اليوم هي في الواقع ثمرة أحلام إنسان الماضي. وهذه الاختراعات والمبتكرات والأجهزة العلمية المتقدمة المستخدمة في ميادين عديدة ليست سوى أفكار جريئة عاشت رشحاً من الزمن في رؤوس الأسلاف من أهل الفكر، ثم لم تلبث أن رأت النور مع أول ومضة. والخبرات الإنسانية في هذا المجال أكثر من أن تحصى، ومن بين هذه الخبرات التي مارسها الإنسان منذ القدم، ثم أخذت تتطور مع الزمن شيئاً فشيئاً حتى غدت فناً رفيعاً له أسسه وقواعده وأجهزته. الغوص وارتياح أعماق المحيطات.

قد لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا أن الغوص بدأ عند الإنسان هواية بسيطة، دون النظر إلى تحقيق أهداف بعيدة معينة، ثم لم يلبث أن هداه تفكيره فيما بعد إلى الاستفادة من الثروات المخبوءة

طرده ، بغية تنشيط عمل الرئتين وتنقية الجهاز التنفسي ، ثم يستنشق الهواء بحيث يملأ نصف الرئتين ، وهي كمية من الهواء يستهلكها في رحلته الى قعر البحر ثم الصعود الى السطح . هذا ولكل غواص شخص مسؤول عنه يقف على سدة السفينة يسمى « السب » ويمسك بالحبل الذي يشد الغواص من وسطه . فعندما يتلقى « السب » إشارة من « الغيص » عبارة عن هزة خفيفة للحبل ، يقوم في الحال بانتشاله من الاعماق ، وعلى يقظة « السب » وانتباهه تتوقف حياة الغواص . ويستطيع الغواص الماهر أن يبقى تحت الماء قرابة دقيقتين ونصف الدقيقة ، ويقوم في اليوم بحوالي ٩٠ « تبة » أي غطسة . وإلى جانب الغواصين والسيوب هناك رجال آخرون يقومون بأعمال أخرى على ظهر السفينة ومنهم « الرضيف » الذي يساعد السب ، و « الثبّاب » وهو الذي يكون في دور التمرين على العمل ويشرف على خدمة « النوخدة » ، و « النهام » حادي السفينة ، الذي يردد الاهازيج واغاني البحر التي تبث النشاط في نفوس البحارة وتشجذ همهم . ويتم صبيحة كل يوم عملية فتح المحار قبل بدء جولة غوص جديدة ، وذلك باستعمال سكاكين معقوفة تسمى الواحدة منها « مفلة » ، وعندما يكون البحر هائجاً يقوم العاملون على السفينة بوضع المحار في « الخدعة » وهو مستودع صغير في السفينة ، ريشما يهدأ الموج ، ويتولى النوخدة مهمة الاحتفاظ باللؤلؤ . هذا ويقوم « الطوايش » ، أي تجار اللؤلؤ ، بالتجول في عرض البحر بقواربهم الصغيرة والتزول على سفن الغواصين لشراء ما قد جمعه من لؤلؤ . وما هو جدير بالذكر أن الغواصين خلال موسم الغوص يشربون من ينابيع المياه العذبة المنتشرة في قعر الخليج والتي تعتبر من عجائب الطبيعة . وهذه الينابيع معروفة



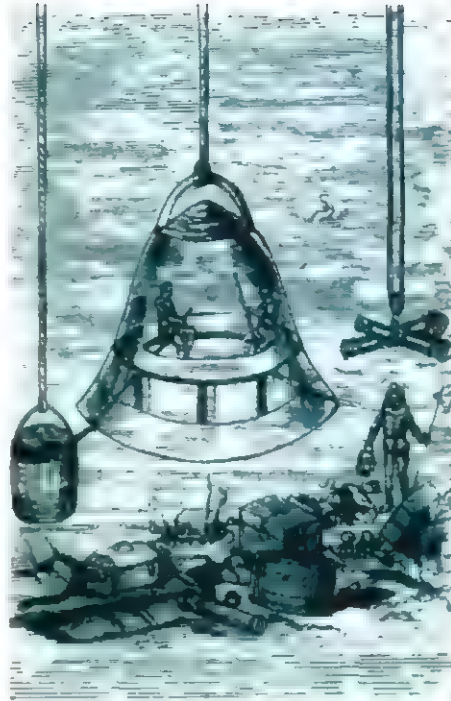
قام « ديجو اوفانو » في عام ١٦٢٨ م بابتكار بذلة الغوص هذه الشبيهة ببرنس مصنوع من جلد البقر ، له الأنبوب طويل يمتد من النوخدة الى سطح الماء ، حيث يثبت بمشاة ثور متلوخة .

يسمى « الفطام » ، ويشد حول وسطه « الايداء » وهو حبل متين يسحب به الغواص ثم يمسك بـ « الزبيل » وهو حبل آخر يربط طرفه العلوي بحلقات خاصة على ظهر السفينة ، وطرفه السفلي بكتلة معدنية من الرصاص يبلغ وزنها نحو ٦ كيلوغرامات تساعد الغواص على التزول الى القاع . ومن بين الأمور التي يراعيها الغواص قبل ان يتدفع الى الاعماق ، التنفس . فقد علمته الغريزة والخبرة المكتسبة ان يدخل الى رئتيه الكمية المناسبة من الهواء التي يحتاجها للعمل في قعر البحر تبعاً لقدرته ومدى تحمله . وخلافاً للرأي الشائع فان الغواص لا يغوص في الماء ورثناه مملوءتان هواء الى سعتهما القصوى ، لان ذلك لا يساعد الغواص على التزول الى القعر بل يجعل الجسم قابلاً للطفو . ولذا نرى الغواص قبل التزول في الماء يقوم باستنشاق الهواء مرتين استنشاقاً عميقاً ثم

اكثر المناسبات اثارة وأشدّها خطورة ، فيه يتأهب البحارة والمشتغلون بالغوص لهذه المناسبة حيث ينطلقون في سنايكيهم وجلابيتهم الى مغاصات اللؤلؤ وهم يرددون الاهازيج والاغاني التي تعبر عن الحنين الى الاهل الواقفين على الشاطئ يودعونهم بالنظرات الحانية داعية لهم بالتوفيق والعودة سالمين . وما دمنا نتحدث عن تطور اساليب الغوص وادواته فلنرافق الغواصين في رحلة البحث عن اللؤلؤ الذي تهون دونه الصعاب .

يختار « النوخدة » أي ربان السفينة الأمر النهائي فيها « الهير » أي منطقة الغوص التي سيزاول رجاله الغوص فيها ، حيث يقوم « الجزوة » وهم العاملون على السفينة بالقاء « السن » في البحر وهو حجر كبير يربط في طرف جبل وذلك لايقاف السفينة اثناء الغوص . ويتأكد الغواصون من وجود محار اللؤلؤ في منطقة ما وعلى أي عمق بانزال حبل في طرفه قطعة من الرصاص يطلقون عليها اسم « البلد » الى قاع البحر ، فاذا علق بالبلد أصداف أو شوهد عليه ألوان تدل على المحار ثبت لهم مكان الغوص . واحياناً يقوم البعض بشم البلد للغرض ذاته . وهناك يخلع « الغواويص » ملابسهم ، ويلبس بعضهم سراويل سودا أو زرقا ، وبعضهم يلف « التفار » على وسطه ، وهي قطعة من القماش الأسود ، وذلك منعاً للفت انتباه الاسماك المفترسة ولا سيما سمك « الدول » السام الشبيه بالخطبوط حين نزولهم الى الاعماق كما يقوم الغواص بدهن جسمه بتقيع الاعشاب ولا سيما القرط والهلالية ليقى جسمه من الطفح الجلدي ، ويضع « الغيص » حول عنقه « الدين » وهو كيس يجمع فيه المحار مصنوع من الخيوط القوية وله فوهة ذات طوق من أغصان الرمان المرنة ليبقى مفتوحاً ، ويسد أنفه بـ « ملقاط » مصنوع من العظام

ثور منفوخة أو كيس مملوء بالهواء . هذا ولم يكن يعلم هؤلاء المخترعون والمصممون لهذه الوسائل انه يتعذر على الغواص التنفس من خلال هذا الأنبوب الطويل لأكثر من عمق بضعة أقدام من سطح الماء ، لجهلهم بقوانين الضغط وعلاقتها بعملية التنفس . ثم جاء « بوريلي » الإيطالي (١٦٠٨ - ١٦٧٩) فابتكر جهازاً لتجديد الهواء ذا دورة مغلقة يشتمل على غطاء للرأس مزود بقطعة من الزجاج يرى الغواص من خلالها . فلهواء المزفور يمر عبر أنبوب نحاسي دقيق يحيط به الماء ويصل بين كيتين . أحدهما صغير والآخر كبير . لازالة الشوائب وتجديد الهواء . وكان على الغواص المستخدم لهذا الجهاز ان يصعد الى سطح الماء من وقت الى آخر لتجديد كمية الهواء جميعها . وفي عام ١٧١٦ م ابتكر « هالي - Halley » الإيطالي ناقوساً للغوص مصنوعاً من الرصاص . يبلغ ارتفاعه ثمانين اقدام ، بداخله مقعد يجلس عليه الغواصون . وكان الهواء في الناقوس يجدد بواسطة براميل مملوءة بهواء تنزل الى مستوى الناقوس وتتصل بالناقوس عبر أنبوب خاص . وقد استطاع « هالي » بهذا الناقوس النزول الى عمق ٦٠ قدماً والمكوث نحو ٩٠ دقيقة تحت الماء . بيد أنه شعر بألم في اذنيه ، مرد ذلك الى ان امثال « هالي » من رواد الاعماق الأوائل لم يدركوا تأثير الضغط على جسم الانسان . ثم صنع « هالي » ناقوساً آخر من الخشب يشبه سلة مقلوبة فيه ثقبان زجاجيان للرؤية . ويصل الهواء الى الناقوس من برميلين سعة الواحد منهما ٣٦ غالونا يجري ازالهما في الماء الى مستوى الناقوس واخراجهما بالتناوب . اما أول جهاز عملي للغطس فقد صنعه الألماني « اغسطس زييه - Augustus Siebe » اذ ابتكر عام ١٨٣٠ بذلة غوص كاملة وخوذة بصمامات هواء . ورغم اجراء التحسينات



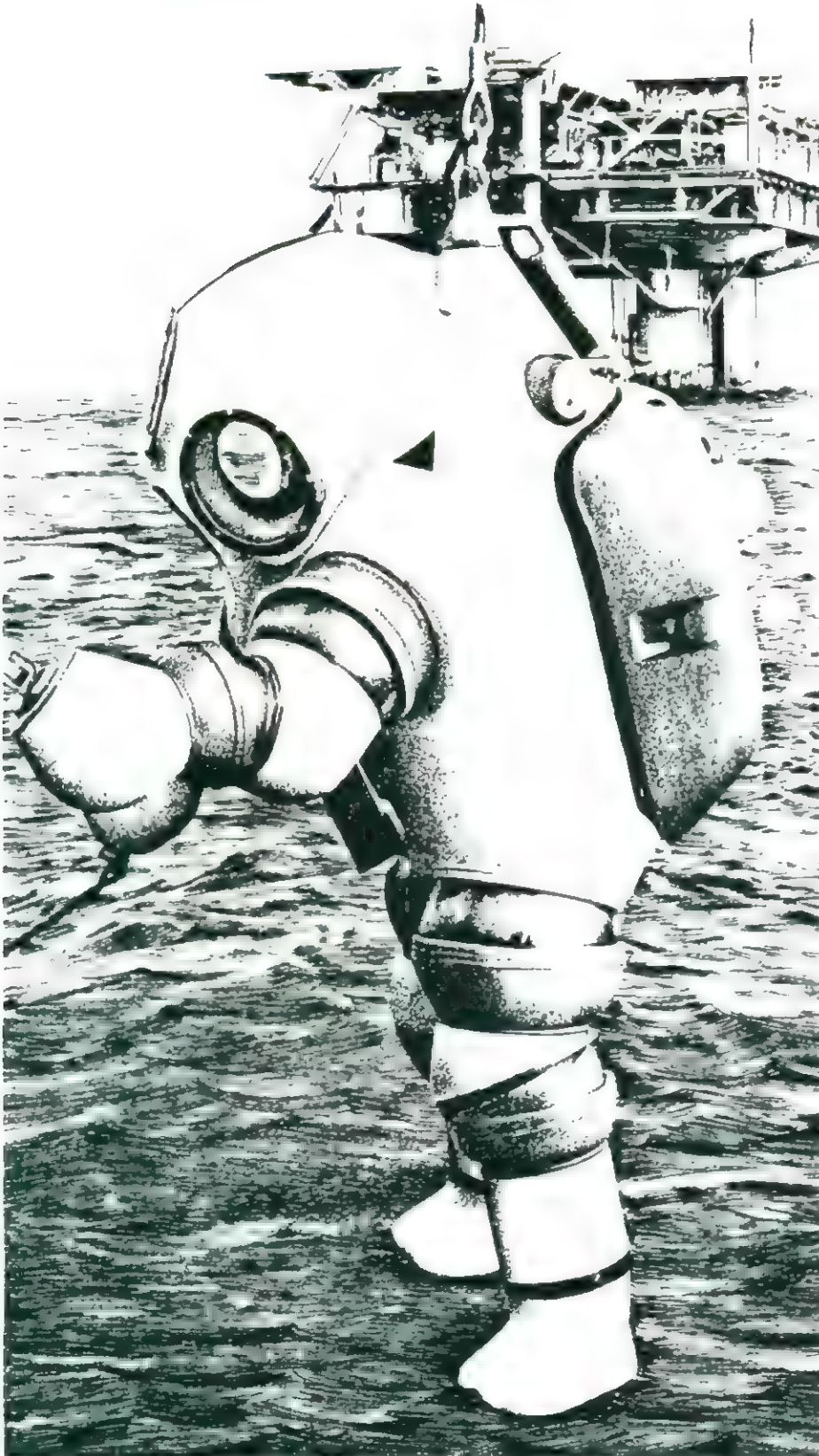
١ - ناقوس حديد مملوء بهواء ينزل الى عمق في سطح الماء . وهو مقصود من المصممين لاجل ان يجدد الهواء في غوصهم .
٢ - ديباجة حديدية مملوءة بهواء ينزل الى عمق في سطح الماء . وهو مقصود من المصممين لاجل ان يجدد الهواء في غوصهم .

لدى الغواصين سيما وان محار اللؤلؤ يتكاثر حولها . فعندما يريدون الماء يشد أحد الغواصين قربة الى وسطه بحبل متين ويغوص بها حتى يصل الى فتحة العين الفوارة فيجعل فوهة القربة فوقها حتى تمتلئ . وقد يتناوب أكثر من غواص على ملئها ومن ثم الصعود بها الى السطح . وعندما ينتهي موسم الغوص بإشارة متعارف عليها بين البحارة . يتهبأون « للقفال » أي العودة الى الشاطئ حاملين معهم « القماش » أي اللؤلؤ النفيس ثمرة جهودهم المضنية . أو يعردون خفافاً صفر اليدين يمتنون النفس بحظ أوفر في الموسم الذي يليه .

المسألة الفنيقيون في الألف الثالث قبل الميلاد فكانوا يغوصون الى اعماق البحر لجمع اصداف « الموركس » لاستخراج الارجوان . وهو صبغ احمر كان يستعمله الفنيقيون . ولا سيما سكان صور لصبغة الثياب . وقد اتخذها الاباطرة الرومان لوناً خاصاً بهم . هذا وترد اشارة للغطس العميق في الياذة هوميروس . التي تحدثنا عن غطاس البحث عن المحار - Oysters . وفي العصور الوسطى اخذ البعض في ابتكار وسائل وأدوات تساعد الغواص على النزول الى مسافات أعماق في البحار والبقاء تحت الماء لمدة أطول . فهذا « ليوناردو دافنشي » (١٤٥٢ - ١٥١٩ م) صمم خوذة غوص من الجلد مرززة بمسامير تحميه من الاسماك المفترسة والحيوانات البحرية الضخمة . ويمتد منها أنبوب للتنفس يطفو على سطح الماء بواسطة عوامة من الفلين . وفي عام ١٦٢٨ م ابتكر « ديبجو افانو » برنساً من جلد البقر يصل من رأس الغطاس الى وسطه مزودا بقطع زجاجية للرؤية من خلالها . ويمتد من الخوذة أنبوب جلدي طويل للتنفس شبت طرفه العلوي على سطح الماء بمثانة

فطس يتأهب للفطس في اصفاق البفر؁
ويففو فنا مر تدياً بذلة الفطس .





العديدة على هذه البذلة فيما بعد ، فان مبدأ « زيه » في هذا المجال هو السائد عالمياً حتى اليوم .

وبحلول القرن العشرين دخلت مهنة الغوص مرحلة جديدة حينما أخذت أهميتها تبرز الى حيز الوجود بشكل فعال مع اكتشاف الزيت في المناطق المغمورة وما تقتضيه صناعة الزيت من أعمال متنوعة تحت الماء ، كما هي الحال مع شركة أرامكو في المملكة العربية السعودية التي تشكل أعمال الغوص جزءاً حيوياً من أعمالها في المناطق المغمورة في مياه الخليج . أضف الى ذلك ان أعمال الغوص ازدادت اهمية مع الرغبة في دراسة الحياة البحرية ولا سيما اسماك البحار العميقة . والحاجة الى تشييد المنشآت تحت الماء . ومد خطوط الانابيب والكابلات . والقيام بأعمال الصيانة على المنشآت البحرية . والمساعدة في بناء الموانئ . وحواجز الامواج ، والسدود . والجسور ، وفحص هياكل السفن ، واستخراج الاسفنج ، وازالة العوائق الموجودة تحت الماء كالسفن والطائرات المحطمة والتنقيب عن الآثار البحرية الى غير ذلك من الاعمال المختلفة التي تتطلب مهارة فائقة في الغوص . فمن الامثلة التي لا تزال عالقة في الازهان والتي تدل على مدى الحاجة الى الغطاسين ومعدات الغطس ، ما حدث في عام ١٩١٧ . ففي هذا العام أصيبت عابرة المحيطات « لورنتيك - Laurantic » بطوربيد وهوت الى الاعماق ، تحمل معها ثروة من الذهب والفضة ، كان من الممكن ان تضيع كلها لو لم تخرج وسيلة للغطس والعمل في الاعماق . فقد نزل الغطاسون الى حيث استقرت عابرة المحيطات على عمق ٤٠ متراً تقريباً وشرعوا في نقل الكثر الى السطح . ولقد كان عمل الغطاسين شاقاً استغرق انجازه ست سنوات ، اذ تمكنوا من انقاذ

لإبقاء قدمي الغطاس على القاع . واثقال من الرصاص تشبك بصدر الغواص وظهره لتحفظه من الطفو الى السطح . وكابل انقاذ يمكن به الاتصال مع السطح عن طريق مجموعة من الهزات . كما يمكن استعماله في حالة الطوارئ لرفعه الى اعلى . وجهاز هاتف يستعمله الغطاس في مخاطبة السطح . اما الغطاسون المحترفون فهم لا يستعملون الأجهزة الآتفة الذكر . بل يكتفون بساعة يد لمعرفة مدة بقاء ما لديهم من اوكسجين . وبوصلة . ومقياس اعماق . وكثيراً ما نرى الغواصين الخواة يحملون معهم آلات لتصوير تحت الماء والبنادق ذات الحراب لصيد الاسماك المتنوعة .

تلك هي مهمة الغوص التي بدأت متواضعة . ثم أخذت تتطور حتى وصلت الى مراحل متقدمة أملت لها الاعمال البحرية الحديثة التي تتطلب من الغواص قدراً كبيراً من المهارة والدرية والمران .

سليمان نصرالله/هيئة التحرير

٣١٦٨ سبيكة ذهبية . واعتبر ذلك أثمن كنز تمكن الغطاسون من استعادته . وفي مناسبة أخرى . حدثت عام ١٩٤٠ م . هبطت الى القاع بعيداً عن شواطئ نيوزيلندا ثروة ذهبية ضخمة عندما اصطدمت السفينة « نياجارا - Niagara » بلغم واستقرت على عمق ١٦٠ متراً تقريباً . حيث عثر عليها بواسطة « غرفة مراقبة - Observation Chamber » أنزلت الى القاع ، وهذه الغرفة مصنوعة من الصلب ولها نوافذ من الزجاج ينزل فيها الغواصون الى اعماق عظيمة . ولقد امكن انقاذ معظم الذهب بهذه الطريقة ، وكانت تلك أعظم عملية انقاذ في التاريخ . تلك الاعمال الفذة جعلت البعض يطلق على الغواصين اسم الضفادع البشرية .

وقد ابتكرت مؤخراً بذلة هذا غطس معدنية تشبه الى حد بعيد بذلة رجل الفضاء ، وهي مزودة بمضخة هواء . وخوذة من الصلب بنوافذ زجاجية . وخرطوم هواء . وحذاء ثقيل



نموذج من غطاس بحري قديم



غطاس عميق يعمل على سطح السفينة

وكان الآمدي يقول عن البحري :
اعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب
الأوائل ، وما فارق عمود الشعر
المعروف (٢) ، وقال عن أبي تمام : شعره
لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم
لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني
المولدة (٣) .

وكان أبو القاسم الحسن بن بشر بن
يحيى الآمدي صاحب كتاب « الموازنة
بين الطائيين » أظهر النقاد الذين حكموا
عمود الشعر العربي ، وكشفوا عنه ،
واحتفلوا به احتفالاً شديداً ، وكان
الآمدي يرجع الى الأصول الفنية والبيانية
في الشعر القديم فيجعلها كل شيء ، أو
أهم شيء في النقد ، فهو ينقد شعر أبي
تمام بالاحتكام الى النهج العربي في شعره
وبتحكيم الذوق الأدبي والأساليب العربية
في كلامه ، يرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله .
فللعرب طريق خاص في استعمال الأسلوب
والتركيب والنظم والصياغة ، وفي الأفكار
والمعاني والأخيلة وتناول الموضوع ، وفي
الأوزان الشعرية التي يستعملونها ، ولهم
نهج خاص في المجازات والتشبيهات
والاستعارات والتثيل والكناية ، وفيما
يزينون به كلامهم من طباق وجناس
ومقابلة وتورية وخلاف ذلك . وذلك النهج
العربي الشعري الخاص هو ما يجب على
الشاعر أن يلتفت اليه ، ويسترشد به
ويحتذي حذوه ، وينظم شعره على مثاله
ومنواله ، ثم هو ميزان النقد وأساسه ،
فالناقد بحكم ذلك النهج الخاص فيما
ينقد من شعر ، فيفطن لما فيه من جمال
أو قبح ، يدرك ذلك بطبعه وذوقه ، وقد
لا يجد الى تصوير ما في نفسه من شعور
بالجمال أو القبح سبيلاً .

وسمي ذلك النهج الفني الخالص
« عمود الشعر العربي » الذي يمكننا أن
نقول عنه في اجمال شديد : انه خلاصة

نسبت القصيدة الشعرية الى
عمود الشعر العربي ،
وقبل لها قصيدة عمودية ، وعمود الشعر
اصطلاح جديد ظهر في العصر العباسي
في القرن الثالث الهجري ، وتردد على السنة
النقاد العرب في هذه الحقبة الحافلة
بمختلف التيارات الأدبية والنقدية ، وأخذ
عنهم من جاء بعدهم من النقاد ، ولا
يزالون يكررونه فيما يكتبون من نقد
ودراسات نقدية حتى اليوم ، ويتسع معناه
حيناً ويضيق حيناً آخر ، بحسب البيئات
والشخصيات والأحوال .

يروى الآمدي الحسن بن بشر
« ٥٣٧١ » عن أبي علي محمد بن العلاء
السجستاني ، وكان صديق البحري ، أنه
قال : سئل البحري عن نفسه وعن أبي
تمام فقال : « هو أغوص على المعاني
وأنا أقوم بعمود الشعر » (١) .

القصيدة عمودها

بقلم : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

لكل التقاليد الفنية التي التزمها الشعراء القدماء في قصائدهم ، سواء في الافكار والمعاني أم الأخيلة والصور والتشبيهات والتمثيلات والمجازات والكنائيات ، أم في الأوزان والقوافي والألفاظ والأساليب وغير ذلك من شتى عناصر البيان .

ومع

اليوم لا نجد تعريفاً صادقاً لعمود الشعر عند كل النقاد العرب القدماء والمحدثين والمعاصرين . وقد يكون تعريفنا هذا له أوفى ما يمكن أن نعرفه به ، ونريده منه ، وما يؤثر عن ابن طباطبا والمرزوقي وغيرهما عن « عمود الشعر العربي » قد يكون غامضاً كل الغمض أن لم نقل إنه خطأ كل الخطأ ، حيث نرى الأمدي لا يعرف لنا عمود الشعر ولا يحدد معناه .

ان القصيدة العربية التي ورثها الشعراء العباسيون أو المحدثون عن الاسلاف ، تظهر في أروع نماذجها التي تحتذى وهي قصيدة المعلقات التي تمتاز بتذهيبها الفني الظاهر ، وبالتزامها للوزن والقافية بخاصة ، وبالتعدد في أغراضها ، واتباعها نمطاً خاصاً في افتتاحها ببيكاء الأطلال ، وفي الانتقال من المطلع الى شتى الأغراض الشعرية الأخرى التي تشتمل عليها ، وكان كل تراثنا الشعري يتمثل في هذه القصيدة العمودية التي ورثناها عن امرئ القيس وحسان وجربير وأضرابهم الاصلاء ، وهي قصيدة ملتزمة مقيدة ، والفن هو الفن لا بد فيه من القيود ، والمثل الفرنسي يقول : لا يحيا الفن بدون قيود ، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الأصلية ، وفطرته الفنية المتميزة . والحرية في الفن هي استعمال الفنان الموهوب لأقصى عبقريته من خلال تلك القيود . وكان نيتشه يعرف الفن بأنه اللعب بمهارة بين كل القيود ، ومن ثم تبدو عظمة الفن . ولا يستثنى من ذلك ، ومن وجوب

الحرص على هذه القيود في أغلب الأمر ، كلاسيكي أو رومانسي أو رمزي أو برناسي أو سريالي أو واقعي .. الجميع يقفون أمام قيود الفن في اكبار لها ، وخضوع لها .

ومن الخطأ أن نتابع مذهب الذين يرمون الصياغة الكلاسيكية بأنها تغلب الشاعر على ابداعه وشخصيته ، ولا تسمح للقوة الخلاقة الكامنة فيه أن تكشف عن نفسها . ففي رأينا أن الصياغة الكلاسيكية لا يمكن أن تقف عقبة أمام الابداع وظهور الشخصية ، ولا أمام حرية الفنان وشخصيته المستقلة ، وكان ابو شادي يكرر أنه يهدف الى « التحرر من قيود لا ضرورة لها لا الى التحرر من القواعد الفنية » (٤) .

است

الشاعر الموهوب لا تعوقه أبداً قيود الوزن والقافية كما يقول أبو شادي في مقدمة ديوانه « الينبوع » . والقصيدة العمودية التي تلتزم عمود الشعر العربي القديم موسيقاها الجميلة ، ونغمها الموقع ، وجمالها الفني الأخاذ ، وتأثيرها الشديد الواضح في السامعين والقارئ ، وان كانت هذه التقاليد الفنية التي تحرص عليها القصيدة الكلاسيكية المحافظة أصبحت في العصر الراهن مجالاً للنقد عند بعض المجددين من المتأثرين بالثقافات الغربية الحديثة في الشعر . ونحن لا ننكر أن بعض هذه التقاليد يمكن التحوير فيها ، أو التجاوز عنها ، أو التحرر منها ، لمنح الشاعر قسطاً من الحرية أوسع ، لكن ذلك على أية حال لم يكن يجوزه الذين التزموا بعمود الشعر من النقاد العرب ، ولا يعني أيضاً التحرر من كل القيود .

ويجيء العصر العباسي ، ويظهر الشعراء المحدثون والمولدون ويأخذون في التجديد في الشعر في نطاق محدود ، رأوا

أن سلوكه جزء من حرية الشاعر الفنية ، ولا يتعارض مع قيود الشعر الملتزمة بحال من الأحوال ، ولقد نشأ الشعراء المحدثون في ظلال العصر العباسي وحضارته وتأثروا بمظاهر الحياة المختلفة فيه ، وبما سادته من امتزاج حدث بين العرب والأمم الأجنبية في كل شيء ، حتى في الثقافة والأدب والشعر وضروب الفن . ومن المحدثين ظهر المولدون من الشعراء وهم الذين نشأوا من آباء عرب وأمهات أعجميات وبعضهم كانت أصولهم كلها أعجمية ، وان كان قد يطلق لفظ « المولدين » على ما يطلق عليه لفظ « المحدثين » من شعراء العصر العباسي والتأثر بحضارته ومن اتساع أفق الخيال فيه باتساع المشاهدات والمرائي فيه .

ولقد

زاد المحدثون في معاني المتقدمين من الشعراء واهتدوا الى معان جديدة ، وأتوا بأخيلة ساحرة وتشبيهات مبتكرة ، وكتبوا قصائد في أغراض غير الأغراض القديمة في بعض الأحيان ، فوق ما صنعوه من تسهيل الأساليب والأوزان الشعرية ، وقد صبغت الثقافات الجديدة من يونانية وفارسية عقلية المولدين بآثارها في التفكير والخيال والمعاني وطرافة التقسيم ونظم الشعراء ما تسرب اليهم من الصور الفارسية حتى ليقول بعض الدارسين من مثل أحمد أمين أن بشاراً وأبا نواس والعتابي وأضرابهم نظموا شعراً عربياً فيه بلاغة العرب ومعاني الفرس ، وفي النثر كان كذلك عبد الحميد الكاتب وابن المقفع يعملان عملهما في احتذاء الثقافة الفارسية ، وعبد الحميد في آخر العصر الأموي وهو الذي استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوطها الى اللسان العربي كما يقول أبو هلال في كتابه « ديوان المعاني » ولا يعني ذلك بحال من الأحوال أن المولدين وطبقات

المحدثين لم يسفوا في فنههم الشعري ، بل لقد صاروا في أحيان كثيرة الى الملحون والمرذول والساقط السوقي والغريب الوحشي ، والى المعاني الغامضة والاستعارات البعيدة وأتوا بالكثير من المتكلف الممقوت وخرجوا في أحيان من عاطفة الشاعر الى فكر الحكيم . وكانت موجة البديع وتكلفه خروجاً على عمود الشعر في رأي كثير من النقاد ، وقامت حوله حركات نقدية شديدة في القرن الثالث الهجري ، وألف ابن المعتز من أجل ذلك كتابه المشهور « البديع » ودافع فيه عن نظرية البديع واثبت انها لا تعني الخروج على عمود الشعر بحال من الأحوال ، بل كان المحدثون يأتون في باب الأوصاف بالتشبيه المفرط البعيد (٥) من حيث كان مذهب العرب أن يصفوا الشيء على ما هو عليه وعلى ما شوهده من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع (٦) .

وعلى أية حال فقد وجدنا الكثير من صور التجديد في القصيدة عند المحدثين : تجديد في الشكل وتجديد في المضمون وفي الفكر والثقافة والمحتوى ، الى خروج على نمط الجاهلين في الصباغة والتصوير والخيال والصنعة والمعاني مما خالفوا فيه القدماء وأخلطوا فيه بعمود الشعر اخلاقاً واضحاً .

ويتابع النقاد في أوائل عصر المحدثين هذه الحركة الشعرية الجديدة متابعة دقيقة ، ويبدون آراءهم في هذا الشعر المحدث المنحرف من عمود الشعر ويقفون موقفين :

١ - أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ويمثل مدرسة المحافظة .

٢ - خلف الأحمر (١٨٢هـ) ويمثل مدرسة التجديد .

فأما أبو عمرو بن العلاء فقد كان شديد التعصب على المحدثين لخروجهم

على عمود الشعر بل كان يتعصب على الشعراء الاسلاميين كذلك (٧) وكان لا يرى الشعر الا للجاهليين ، وكان أشد الناس تسليماً للعرب كما يقول ابن سلام (٢٣١هـ) ، ولا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم (٨) وجلس اليه الاصمعي (٢١٦هـ) عشر سنين فما سمعه يحتج بيت اسلامي (٩) ، فضلاً عن أن يحتج بشعر المحدثين ، وقال : لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً (١٠) .. ويتابعه ابن الاعرابي في الازراء بالمحدثين وشعرهم والاشادة بشعر القدماء (١١) وكان يقول في شعر أبي تمام : ان كان هذا شعراً فكلام العرب باطل (١٢) .. وكان ابو حاتم يعيب كذلك شعر أبي تمام (١٣) ، وكذلك كان ابو عبيدة ، فغنده (١٤) أن أشعر الناس امرؤ القيس والثابتة وزهير (١٥) ، وأشعر الاسلاميين جرير والفزرق والأخطل (١٦) ، وكان يونس والمفضل الضبي يقدمان جريراً ، ومثلهما بشار (١٧) ، وقال مالك بن الأخطل لأبيه : رأيت جريراً يغرف من بحر والفزرق ينحت من صخر فقال له أبوه : الذي يغرف من بحر أشعرهما (١٨) ، وكان البحرى يقدم الفزرق (١٩) وكان المأمون يتعصب للأوائل من الشعراء ، ويقول : انقضى الشعر مع ملك بني أمية (٢٠) وكان اسحاق الموصلي ينصر الأوائل ، وكان شديد العصبية لهم (٢١) فطعن على أبي نواس (٢٢) وعلى أبي العتاهية (٢٣) ، وأبي تمام (٢٤) ، وكان لا يعتد الا بالقديم (٢٥) ، ومثل ذلك التعصب للآداب القديمة موجود في الآداب الغربية كذلك فقد كان هوراس الشاعر الروماني يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التي يجب أن تدرس لئلا

ونهاراً ، وان الشعر ينبغي أن ينظم كما كانوا ينظمونه (٢٦) والنقاد في العصر الكلاسيكي في أوربا كانوا يفتنون بالنماذج الاغريقية القديمة .. وعصبية هؤلاء النقاد على شعر المولدين ظاهرة ، وقد اعتذر الباقلاني عن هؤلاء النقاد بميلهم الى الشعر الذي يجمع الغريب ، والمعاني (٢٧) واعتذر عنهم ابن رشيق بحاجتهم الى الشاهد والمثل وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون (٢٨) .

وليس خلف الأحمر فقد كان لا يشق له غبار في النقد ، ولا يجري معه أحد في حلبة هذه الصناعة (٢٩) وكان يفضل بعض النماذج المحدثه على الشعر الجاهلي ، ففضل لامية مروان بن أبي حفصة على لامية الأعشى (٣٠) ، ويتابعه في هذا الانصاف لشعر المحدثين الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المعتز ، فقد كان الجاحظ ينكر غلو المتعصبين على المحدثين (٣١) ، وكان ابو العباس المبرد لا يتعصب لقديم على محدث (٣٢) ، وكذلك كان ابن قتيبة « ٢٧٦هـ » كما ذكر لنا في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » ، وكذلك كان موقف ابن المعتز (٣٣) ، ولقد انصفت هذه الطبقة المحدثين وشعرهم انصافاً ظاهراً .

ويجيء الشعراء المحدثون من ذوي الثقافات الجديدة كأبي تمام وابن الرومي وغيرهما ، ويخرج شعرهم على عمود الشعر العربي خروجاً واضحاً ويختلف النقاد فيهم اختلافاً بيناً ، كما ترى في كتاب « الموازنة بين الطائيين » للأمدي ، الذي يقص علينا كل آراء النقاد وخصوصاتهم في أبي تمام واتهام الكثير له بخروجه على عمود الشعر . وكذلك نرى خلافاً شديداً بين النقاد حول ابن الرومي وشعره ، فهو عند ابن رشيق أولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتتانه (٣٤) ويتابعه ابن شرف في « رسالة الانتقاد » ، فيرى

انه « شجرة الاختراع وثمره الابتداع ». ويقول عنه المعري : ان أدبه أكثر من عقله ، ويثني عليه المسعودي وابن خلكان من حيث أهمله أبو الفرج في « الأغاني » وذمه القاضي الجرجاني في « الوساطة » وقد أعجب به المعاصرون من النقاد اعجاباً شديداً كطه حسين والعقاد والمازني وشكري وغيرهم ، ووراثه ابن الرومي اليونانية أصل فنه الأدبي عند العقاد ، ويضيف إليها طه حسين اثر الثقافة اليونانية الاسلامية (٣٥) .

وعند هذا الحد يتضح لنا معنى عمود الشعر وتحكيم طائفة من النقاد في القرن الثاني والثالث له في الشعر تحكيمياً شديداً ، فقد كان نقاد القرن الثاني يعرفون عمود الشعر بمضمونه وفحواه ، لا بنصه وفصه بعكس نقاد القرن الثالث الذين عرفوه بحقيقته ، وتحدثوا عنه في كتبهم كما ترى اعتدال فريق آخر من النقاد في تحكيم عمود الشعر في قصيدة المحدثين ، وانصافهم لشعر المولدين ، ولا يخلو عصر من عصورنا الأدبية من متعصبين لشعر الأوائل من نقاد وشعراء ، يحتذون حذوه ويقلدونه تقليداً شديداً .

ومن ذلك نعرف مضمون القصيدة العمودية التي يعرفها البعض بأنها القصيدة الملتزمة للوزن الشعري وللقفية الشعرية ، ونعرفها نحن بأنها القصيدة الملتزمة لعمود الشعر العربي التزاماً قوياً ظاهراً ..

أن المعاصرين ممن خرجوا على المذهب الكلاسيكي ، وتحرروا من الأوزان الشعرية العروضية الموروثة عن الخليل قد نظروا الى عمودية القصيدة ووزنها الموروث نظرة خاصة فانصرفوا عن الأوزان القديمة والأوزان المولدة جملة واقبلوا على الشعر الحر والشعر المنشور والشعر المرسل وغير ذلك من ضروب التجديد في القصيدة الشعرية ،

ممعنين كل الامعان في الخروج على عمود الشعر العربي من جديد مرة أخرى . وهؤلاء لعمود الشعر وللقصيدة العمودية عندهم اصطلاح آخر غير اصطلاح القدماء الذي أشرنا اليه من قبل ، فالقصيدة العمودية لديهم هي الصورة البديلة للشعر الحر أو الجديد .

ولا ريب أن هذا الشعر الحر هو خروج كامل على العمودية ومنهج العموديين ومن أجل ذلك كان الخلاف بين النقاد المعاصرين حوله شديداً عنيفاً كما كان الخلاف من قبل شديداً عنيفاً حول تجديد أبي تمام وأضرابه .

ومن ذلك كله نخلص الى أن القصيدة العمودية ذات طابع خاص وخصائص متميزة .

فهي تمتاز بغنائيتها وروحها الذاتية ، وحفاظها على كل تقاليد القصيدة وقيمها الفنية ، وهي تنافي الحرية التي لا تستند الى أساس فني خالص ، وهي قد أدت للأجيال رسالة الشعر كاملة ، وعبرت عن حاجات المجتمع العربي والبيئة الادبية تعبيراً كاملاً ، وهي طوعت نفسها وموسيقاها لأداء كل مشاعر الشاعر وعواطفه دون التواء ولا زيف ، وهي كذلك ضد المناسبات الطارئة والعواطف الزائفة والانفعالات الوقتية ، وليست تعنى أية عناية بالمناسبات العامة انما هي وفي أخص خصائصها ، وأدق سماتها تعبير عن روح الشاعر الاصيل العميقة الرفيعة .

ان القصيدة العمودية لا زالت ولن تزال تخدم كل أهدافنا وقيم مجتمعتنا خدمة كاملة دون نقص أو زيف أو التواء . انها تعبير عن ذاتية الفن والشعر ، وصورة خاصة متميزة لكل قيمنا الفنية التي عرفنا بها ، وصارت عنواناً علينا خلال كل العصور والأجيال ، وستستمر في أداء رسالتها على طول الزمان .

المراجع

- (١) ص/١٥ « الموازنة » للامني .
- (٢) ص/١١ المرجع نفسه .
- (٣) المرجع السابق نفسه ص ١١/ .
- (٤) ٨١ المرجع السابق ، وراجع مجلتي أبولو وأدبي ، وكتابي « رائد الشعر الحديث » بجزئيه المطبوع في القاهرة عام ١٩٥٥ .
- (٥) ٣/ ١٢٤ « آداب العرب » للرافعي .
- (٦) ١٨٩ « الموازنة » طبعة صبيح .
- (٧) ١/ ٢٠٩ البيان والتبيين .
- (٨) ١/ ٧٣ العمدة .
- (٩) « البيان والتبيين » ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة .
- (١٠) ١٠٥ « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لطله ابراهيم .
- (١١) ٨ الموازنة ، ٣٠٤ الموشح ، ٢٤٤ أخبار أبي تمام للصولي .
- (١٢) المرجع السابق نفسه .
- (١٣) ٣٠٤ الموشح .
- (١٤) « جمهرة أشعار العرب » لأبي زيد .
- (١٥) « جمهرة أشعار العرب » لأبي زيد .
- (١٦) ٤٦ المرجع نفسه .
- (١٧) ١٣٩ « طبقات الشعراء » لابن سلام .
- (١٨) ٢/ ٢٧٣ البيان والتبيين .
- (١٩) ٢٤ صناعتين طبعة صبيح .
- (٢٠) ٣٦٢/ ١ ديوان المعاني .
- (٢١) ٢٢١ « أخبار أبي تمام » الموصلي .
- (٢٢) ٣/ ٢٨ الأغاني .
- (٢٣) ٢٥٨ « الموشح » للمرزباني .
- (٢٤) ٨ « الموازنة » للامني طبعة صبيح .
- (٢٥) ٩/ ٣٥ الأغاني .
- (٢٦) ١٤٤ « قواعد النقد الأدبي » كرومبي .
- (٢٧) ١٠٠ « اعجاز القرآن » لبلقلاقي .
- (٢٨) ١/ ٧٣ العمدة .
- (٢٩) ١/ ١٩٧ العمدة .
- (٣٠) ٣/ ٤٠٢ « العقد الفريد »
- (٣١) ٤٠ / الحيوان .
- (٣٢) ١/ ١٨ « الكامل » للمبرد .
- (٣٣) ١٤ رسائل ابن المعتز .
- (٣٤) ١/ ٢٢٥ العمدة .
- (٣٥) ٢٣٧ « من حديث الشعر والنثر » لطله حسين .

الفلاح

للشاعر: الياس قنصل



حياتك رمز للمشقات والرضى
رأيتك لا تفك ترقب في الدجى
يداك على المحراث يفلح ما قسا
وقلبك يتلو في الخفاء دعاءه
فضالك في الغبراء بين أديمها
وإيمانك المغمور بالصدق والتقى
بذارك ينبوع من النفع باسم
وجهدك للأوطان والناس نعمة
إذا كنت تجني من كساحك بدرة
تكب على أغراس كفك حانيا
وتملأ آناء النهار مضجعا
وتغفو بهيج النفس في الليل حالما
ففيك من الشجور عذب صداحه
وفيك صفات الراسيات من الصفا
وأنت تفوق الناس علماً وخبرة
أنت رفيق الليل والنجم والندى
أنت تاجي الطير والبقل والخصى
غراسك والأفهام حول قطافها

وامثولة للصبر والكد والبذل
لتسبق نور الصبح سعياً إلى الخقل
من الأرض في سير وتيب على مهل
ليعد عنك الله كرامة المحل
وعينك في ماء من الأفق منهل
يجد فيك العزم فصلاً إلى فصل
يفيض بلا من ويروي بلا بخل
توزع أسباب الرفاهة بالعدل
ففيك يجني منه حملاً على حمل
كما حن ذو الحس الشريف على الأهل
براحة جسم لا يكل من الشغل
بدنيا تسامت بالسماحة والنبل
وفيك سمات الجد من دأب النمل
وفيك مزايا النهر والفجر والوبل
وان كنت ترمى بالبساطة والجهل
أنت صديق الغيث والقيء والتل
وتدري نوايا الورد والآس والفهل؟
قصائد أغناها النماء عن الصقل

للشركة البحر



فكرة إنشاء الشركة واختيار الموقع

بدأت فكرة إقامة حوض جاف لبناء السفن واصلاحها في عام ١٩٦٨ عندما رأت منظمة الأقطار العربية المصدرة للبرترول «أوابك» ، وكانت حينذاك مكونة من المملكة العربية السعودية ، والكويت وليبيا ، ضرورة إقامة مثل هذا المشروع في أهم مناطق شحن الزيت الخام في العالم . وقد أظهرت الدراسات الأولية أهمية هذا المشروع وأكدت على ضرورة اقامته في منطقة الخليج ، سيما وأن الطلب على

العرب ماض عريق في البحرية وعلومها ، وكانت أساطيلهم

التجارية والحربية تجوب البحار بين الهند والبحر الأحمر والخليج العربي ، وكذلك البحر الأبيض المتوسط حيث كانت لهم السيادة دحمان الزمن أيام حكمهم للأندلس ومالطة وصقلية وجنوبي فرنسا وإيطاليا . ومأمم اليوم ، في نهضتهم الحديثة ، يتطلعون بنظرة الأمل الباسم إلى المستقبل المشرق يحدوهم تراث حافل بالمجد والاصالة .

دولة لبنان والصلح النفطي في البحرين

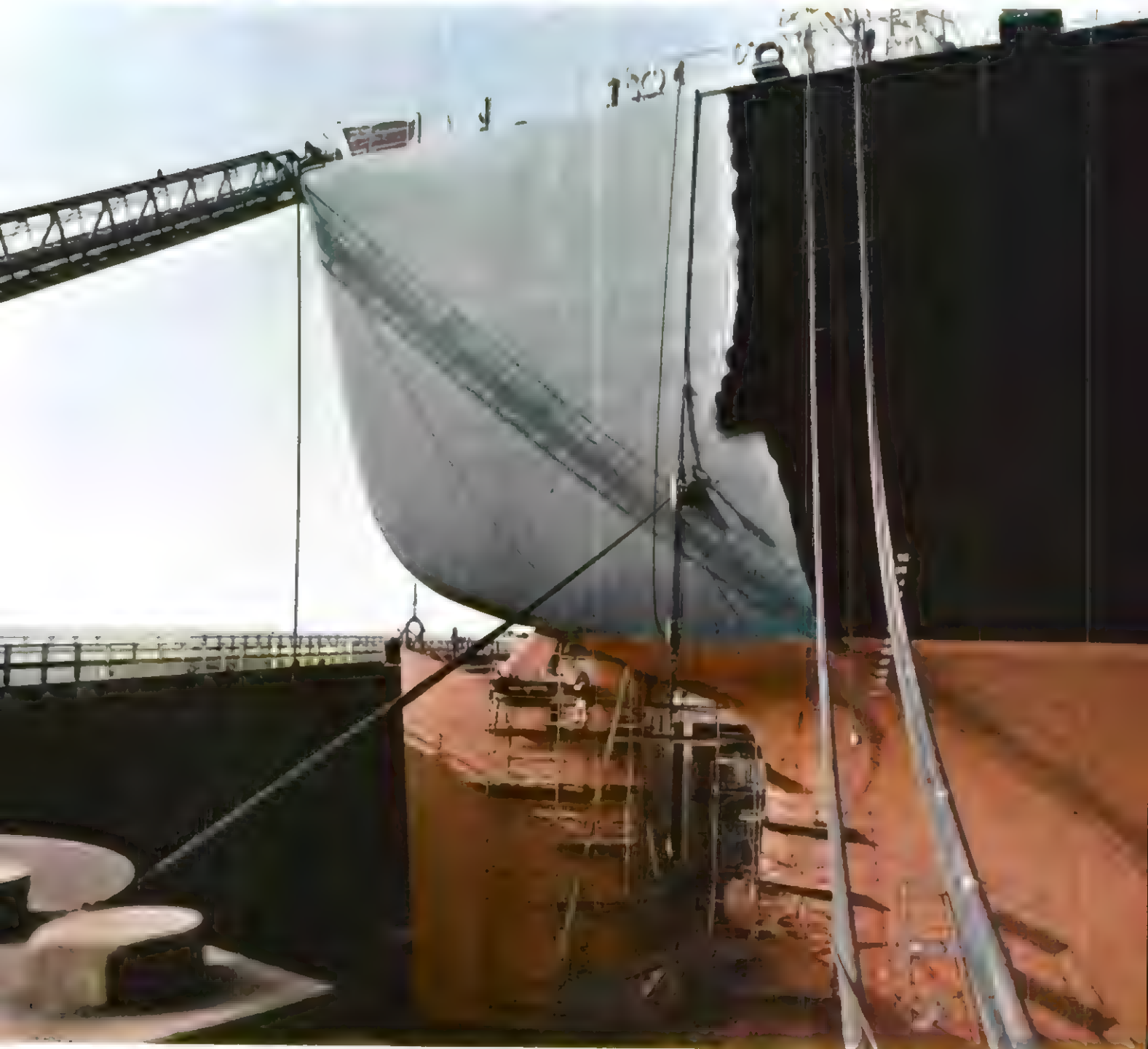


الزيت ، فهي اذن نظيفة نسبياً ، الأمر الذي يجعل صيانتها أسهل وأسرع مما لو كانت أفرغت حمولتها لتوها . هذا بالإضافة الى أن أسطول ناقلات الزيت العربية قد أخذ ينمو بشكل حتمّ وجود مراقب لصيانة قطعه واصلاحها .

ومع أن خط سير الناقلات قد تحول ، الى حد ما ، بعد اعادة فتح قناة السويس ، إلا أن البحرين ظلت المكان الأفضل نظراً لموقعها الجغرافي الذي يتوسط منطقة الخليج حيث تقوم أهم مناطق انتاج الزيت العالمية .

أقرب الأحواض الى منطقة الخليج هو الكائن في سنغافورة بجنوب شرقي آسيا . يضاف الى هذا ، الطلب المتزايد على زيت الخليج ووجود اسطول عامل من الناقلات الضخمة يصل عددها الى ٨٠٠ ناقلة تقريباً تقوم برحلات الى منطقة الخليج بمعدل يراوح بين أربعة وخمسة آلاف رحلة سنوياً ، وهو رقم قياسي بالنسبة لأي نوع من السفن ولأية منطقة في العالم . وتجدر الإشارة الى أن الناقلات تأتي الى منطقة الخليج فارغة لتأخذ حمولتها من

استخدام ناقلات الزيت الضخمة قد أخذ ينمو بسرعة بعد اغلاق قناة السويس في عام ١٩٦٧ . فالناقلات الضخمة ، وهي في رحلتها من الخليج الى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح ، لا تمر الا بحوض جاف واحد قادر على توفير خدمات الصيانة لها اذا ما بلغت الحمولة الاجمالية للواحدة منها ١٧٥٠٠٠ طن فأكثر ، وكان ذلك الحوض في « لشبونة » عاصمة البرتغال على المحيط الأطلسي . أما الناقلات الضخمة المتجهة الى اليابان فان



بدء أعمال الانشاء

تقوم ساحة بناء السفن واصلاحها والخوض الجاف بداخلها على بقعة، مساحتها خمسون هكتاراً، أي نحو نصف مليون متر مربع، استصلحت جميعها من البحر على شاطئ جزيرة المحرق. وقد بدأت أعمال الحفر والاستصلاح الى الجنوب من قرية «الحد» وقد نفذ المشروع حسب الخطة المرسومة وتمت أعمال الاستصلاح واقامة الكثير من المرافق خلال العامين الأولين، وهي فترة قصيرة اذا ما قورنت بما تم خلالهما من انجازات، ابتداء من استصلاح الأرض التي كانت مغمورة بمياه البحر ومروراً باقامة عدد من المباني والمنشآت وانتهاء بتركيب الروافع والمعدات والأجهزة واقامة العديد من المرافق على اختلاف أحجامها وأشكالها ووظائفها. وفي ١٥ مايو ١٩٧٧ كان الخوض الجاف جاهزاً وملئاً للمرة الأولى بماء البحر. وفي أكتوبر من العام نفسه، أدخلت الناقلة الايطالية «امبروسيانا - Ambrosiana» وحمولتها ٢٣١٠٠٠ طن الى الخوض حيث كانت الأولى.

ان اختيار الموقع على شاطئ جزيرة المحرق قد جاء بعد دراسة مستفيضة قامت بها مجموعة انجلو - برتغالية تضم عدداً من الخبراء والمستشارين. وبطبيعة الحال

١ - سعادة الشيخ خليفة بن سلمان بن محمد الخليفة، رئيس مجلس ادارة الشركة العربية لبناء واصلاح السفن، ووكيل وزارة التنمية والصناعة في البحرين.

٢ - السيد أحمد عبدالله، رئيس العلاقات العامة في الخوض، يشير الى لوحة في مدخل مبنى لادارة، عليها شعار اشركة العربية لبناء واصلاح السفن وتحيط به أعلام الدول العربية المسهمة في الشركة.

٣ - الناقلة «سنكلير» وتبلغ حمولتها الاجمالية ١٨٩٠٠٠ طن أثناء صيانتها في الخوض الجاف، في الأسبوع الأول من يناير ١٩٧٩.

أخذ بعين الاعتبار جميع الأمور المتعلقة بالنواحي الطبوغرافية والجيولوجية والبحرية وتوفر الخدمات الأخرى المساندة وتكاليف الانشاء والأيدي العاملة وغير ذلك.

أسري خلال عام ١٩٧٨

عندما افتتح سمو أمير دولة البحرين الخوض رسمياً في ديسمبر من ١٩٧٧، كانت هناك قائمة بأسماء عدد من الناقلات التي طلب أصحابها حجز أماكن لها لصيانتها في مرافق «أسري». وكان المسؤولين يتوقعون امكان صيانة ستين ناقلة فقط كل سنة من السنوات الثلاث الأولى، لكن الاقبال المتزايد على الخوض شجع المسؤولين على مضاعفة الجهود مما أدى الى صيانة مئة ناقلة خلال عام ١٩٧٨ فقط. وهو العام الأول الذي بدأ فيه العمل في صيانة السفن. وقد تمت أعمال الصيانة في الخوض الجاف نفسه «البركة» والأرصعة الأربعة الأخرى. وتخطط ادارة الشركة لاستقبال السفن لمختلف أعمال الصيانة. والجدير بالذكر أن أعمال الخوض في الوقت الحالي تنتظم في ثلاث مراحل هي:

أولاً: الارساء الجاف وتنظيف الهيكل الخارجي للناقلة والقيام بأعمال الدهان اللازمة.

ثانياً: القيام بجميع الأعمال الميكانيكية واجراء الفحص الدوري وأعمال التنظيف.

ثالثاً: صيانة الأجزاء الميكانيكية الكبيرة والهيكل العام للناقلات.

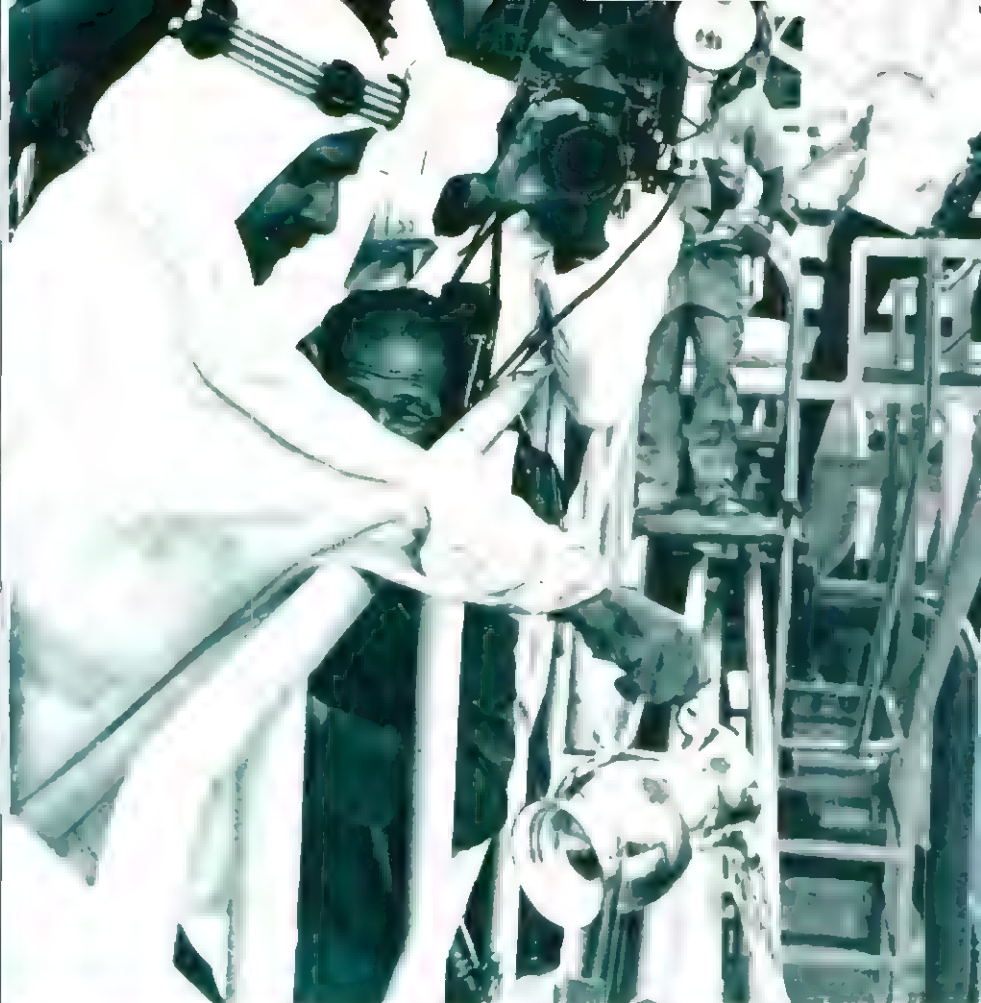
هذا مع العلم بأن «أسري» تقوم بصيانة مختلف أنواع ناقلات الزيت والسفن التجارية والمراكب.

ان أول ما أدخل الى الخوض الجاف العوامة «طرطروقة» وهي منصة بحرية متنقلة تابعة لأسري، وتبلغ حمولتها الساكنة عشرة آلاف طن. وكان ذلك في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٧. أما أكبر ناقلة أدخلت

الخوض فهي الناقلة «شط العرب» التي تبلغ حمولتها الاجمالية ٣٨٦٠٠٠ طن وكان ذلك في ٢٦ يناير ١٩٧٨. كما بلغ متوسط الحمولة الاجمالية للناقلات التي دخلت الخوض للصيانة خلال العام الماضي ١٨٩٠٠٠ طن. وفي السابع من ديسمبر ١٩٧٨ اجتمع في «أسري» خمس ناقلات للصيانة دفعة واحدة كانت واحدة منها في الخوض الجاف، أما الأربع الأخرى فقد احتلت الأرصفة الأربعة الأخرى. وقد بلغ مجموع حمولة هذه الناقلات أكثر من مليون طن.

مميزات أسري وخوضها الجاف

يطلق اسم الخوض الجاف، اصطلاحاً على جميع مرافق «أسري»، لكن الخوض الجاف في الواقع عبارة عن بركة مستطيلة الشكل طولها ٣٧٥ متراً وعرضها ٧٥ متراً وعمقها ١٢ متراً. وهذه البركة، أو هذا الخوض له باب ضخيم طوله بعرض الخوض وارتفاعه بعمق الخوض أي أنه عبارة عن جهة كاملة للخوض، أما سمك هذا الباب فيبلغ ٦,٥ متراً. بينما يبلغ وزنه حوالي ١٣٠٠ طن، وهو مصنوع من صفائح الفولاذ المقواة من الداخل بدعائم قوية تستطيع تحمل ضغط الماء عليه عندما يكون الخوض فارغاً. وللباب محركات ضخمة تتحكم في رفعه وانزاله. عندما يراد ادخال الناقلة الى الخوض تفتح صمامات الباب الستة فيتدفق الماء الى الخوض الجاف «أي البركة». وعندما يمتلئ بالماء يفتح الباب فتدخله الناقلة ببطء، ثم يرفع الباب فيشكل سداً بين الماء في الخوض والبحر، وتقف الناقلة على دعائم من الاسمنت مغطاة بطبقة من الخشب الصلب. فيرتكز أسفل الناقلة في تجاويف الدعائم بينما يكون أسفل الدعائم على أرض الخوض. بعد ذلك تدار المضخات الضخمة لتفريغ الخوض من الماء. وفي الخوض ثلاث مضخات لنفس



١ - سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ،
أمير دولة البحرين ، يصب ماء من زرمز في
الحوض الجاف إيذاناً بافتتاحه رسمياً . وكان
ذلك يوم ١٥ ديسمبر ١٩٧٧ ، وهو اليوم
الوطني للبحرين . وقد حضر حفل الافتتاح
وزراء النفط العرب الأعضاء في منظمة الأقطار
العربية المصدرة للبتروول (أوابك) وعدد
من المهتمين بشؤون الملاحة واصلاح السفن .

٢ - في نوفمبر ١٩٧٤ ، بدأت أعمال الحفر
لاستصلاح موقع الحوض ومرافقه .

٣ - وخلال بضعة أشهر ظهر الموقع رمالا جرفت
من أرض البحر .

٤ - وقبل أن يمضي عام على مباشرة أعمال
الاستصلاح بدأت معالم الحوض تأخذ شكلها
حسب المخطط المرسوم .

٥ - وفي فبراير ١٩٧٦ كانت أعمال الحفر قد
أنجزت وبدأ العمل في اقامة بعض المنشآت
والمرافق .

٦ - واستمر العمل في وضع الأسس والقواعد
وأقيم العديد من المباني والورش .

٧ - وفي أكتوبر ١٩٧٦ وضمت أسس الحوض
الجاف وقواعده ، وصبت بالأسمنت المسلح .

٨ - وفي مايو ١٩٧٧ أنجز العديد من المرافق ،
وظهر الحوض الجاف بجدرانه القوية وملء
بالماء .

٩ - وفي أكتوبر ١٩٧٧ ، أدخلت الناقلة
« أمبروساينا » الى الحوض الجاف لاجراء
بعض أعمال الصيانة عليها وكانت أول ناقلة
دخلت الحوض .

١٠ - وفي ٢٦ يناير ١٩٧٨ ، أدخلت الى الحوض
الناقلة « شط العرب » التي تبلغ حمولتها
الاجمالية ٣٨٦.٠٠٠ طن ، وهي أضخم
ناقلة جرت صيانتها في الحوض حتى نهاية
عام ١٩٧٨ .

١١ - وفي ٧ ديسمبر ١٩٧٨ ، كان عدد السفن
الراسية في مرافق الحوض الجاف ، خمس
سفن تربو حمولتها الاجمالية على مليون طن .
كما تشاهد في مقدمة الصورة ناقلة زيت وهي
تغادر الحوض بعد أن تمت صيانتها .







العمال في صيانة إحدى الناقلات الضخمة وهي قائمة في الحوض

ومن المعدات المهمة المتوفرة في الحوض خمس رافعات ضخمة متحركة . اثنتان منها تعملان على جانبي الحوض الجاف ، طاقة الأولى مئة طن ، والثانية ٣٠ طناً ، والثلاث الباقية ، وطاقة كل منها ١٥ طناً ، تعمل على الأرصفة الأربعة الأخرى . وجميعها تتحرك على قضبان ضخمة أقيمت على شكل خطوط السكك الحديدية . وتستطيع هذه الرافعات الخمس تغطية الحوض الجاف ونحو ٩٠ في المئة من منطقة العمل خارج الحوض الجاف . ويتبع للحوض كذلك رافعة عائمة تبلغ طاقتها ٢٠٠ طن .

هناك على اليابسة وعلى مقربة من الحوض الجاف والأرصفة ، أقيمت ورشة ميكانيكية كبيرة تبلغ مساحتها ٣٠ دونماً « ٣٠٠٠٠ متر مربع » مزودة بأحدث الأجهزة والأدوات والمعدات اللازمة لمختلف أعمال الصيانة ، كما تحتفظ « أسري » في مخازنها في منطقة الحوض بعدة أنواع من الأصباغ والزيوت والشحومات التي تستخدمها مختلف الناقلات لتزود منها بما يناسبها وما يلزمها .

ويتبع للحوض أيضاً ناقلة كبيرة لتنظيف صهاريج السفن تدعى « الشاطئ الأبيض - White Beach » ، وتبلغ

الغرض طاقة كل منها ٣٦٠٠٠ متر مكعب في الساعة . وفي خلال ساعتين ونصف الساعة من تشغيلها يفرغ الحوض من الماء وتصبح الناقلات قائمة على الدعامات القوية في الحوض الجاف ، ويبدأ العمال والفنيون والمهندسون العمل ، كل فيما يخصه . والحوض ، في مثل هذا الحجم ، يستوعب ناقلة ضخمة تصل حمولتها الاجمالية الى نصف مليون طن ، أي ما يوازي ٣٧٥٠٠٠٠ برميل .

هناك على مسافة من الحوض الجاف أقيم رصيفان مزدوجان يشكل كل منهما رصيفين مستقلين .

ويمكن استخدام هذه الأرصفة لصيانة الناقلات الضخمة جداً التي لا تحتاج صيانتها لادخالها في الحوض الجاف كما أنه يستعمل كقرصة لتحميل المسود وانزالها . وقد عمقت المنطقة المغورة مقابل الحوض الجاف وحول الأرصفة الأربعة لنحو عشرة أمتار ، الأمر الذي يسمح للناقلات التي تؤم الحوض والأرصفة بالتحرك والدوران بطريقة مأمونة .

وقد زود الحوض بستة قوارب لقطر الناقلات وارسائها وادخالها في الحوض وإخراجها منه ، وتبلغ قوة كل منها ٢٤٠٠ حصان آلي .

الفنيون يتمكنون في صيانة إحدى الناقلات الضخمة وهي قائمة في الحوض





١ - تعتبر الرافعات من أهم معدات الحوض الحرف وهي متحركة على خطوط تشبه خطوط سكك حديدية ، تغطي نحو ٩٠ في المئة من مساحة الحوض والقرص التابعة له .

٢ - تفت ساقولت في حوض عن قوحد صانه تصف متفرده لتحمل الثقة عن صحنه و ثقلمها .

٣ - هذه سحمة ثقف في الحوض حرف وقد أفرح لدهمه ، وبدأت أعمال صبده عصبه .

المهنية والحرفية والفنية والادارية.ومن أجل ذلك أيضاً شكلت دورات تدريبية تكاد تشمل مختلف المهن والاعمال الحالية .

فقبل ثلاثة أعوام ، وبينما كان الحوض لا يزال في طور الانشاء ، أسست في المحرق ، مدرسة للتدريب على أعمال اللحام والسبك والميكانيكا والأنابيب . وعندما افتتح الحوض ، انتقل المتدربون الى مركز التدريب الجديد الذي أقيم في الحوض على مقربة من الأعمال التي سيمارسها المتدربون بعد انتهاء فترة تدريبهم . كما أن قربهم من مواقع العمل يسمح لهم بتطبيق ما يتدربون عليه مباشرة ، وهذا التطبيق عبارة عن تدريب وعمل وخبرة يمارسونها ويكتسبوننها بينما هم لا يزالون في مرحلة التدريب . وقد أقام مركز التدريب خلال العام الماضي ، ١٩٧٨ ، عدة دورات تدريبية اشترك فيها متدربون جدد بالإضافة إلى الموظفين العاملين في الحوض . وينقسم برنامج التدريب الى ثلاثة أقسام :

التدريب المهني : ويشتمل على أعمال الميكانيكا والكهرباء واللحام والدهان والسباكة والالكترونات وتشكيل المعادن . ويستغرق التدريب في هذا القسم ، نظرياً وعملياً ، حوالي أربع سنوات . ويشترط في المتدرب الملتحق بهذا البرنامج أن يكون قد أتم دراسته الابتدائية على الأقل حتى ينخرط في بعض الأعمال ، أو أن يكون حائزاً على الثانوية الصناعية أو العامة .

حمولتها الاجمالية أكثر من ٣٣٠٠٠ طن . وكانت تستخدم من قبل ناقلة للزيت الخام ثم جرى تحويلها للغرض الحالي . وبإمكانها لدى التشغيل ان تشفط نحو ١٢٠٠ طن في الساعة ، من الماء المستخدم في تنظيف الناقلات ونفاياتها . وهذه الناقلة « الشاطيء الأبيض » مزودة أيضاً بأجهزة لفصل الزيت عن الماء ثم التخلص من الماء بأقل نسبة ممكنة من مخلفات الزيت اذ انها معدة لمكافحة التلوث أيضاً . وهي بخزاناتها الواسعة يمكنها الاحتفاظ بالخام المستخلص ، نتيجة لتنظيف الناقلات ليستعمل كوقود أو يضخ الى مرافق التخزين المقامة على اليابسة . وبها أيضاً خزانات تستوعب نحو ٧٢٠٠ طن من الشوائب والنفايات والفضلات ونحو ٩١٠٠ طن من مياه الصابورة الذي تستخدمه الناقلات لحفظ توازنها أثناء رحلاتها وهي فارغة . كما أن من مهمة الناقلة « الشاطيء الأبيض » إمداد الناقلات ، التي تحت الصيانة ، بالماء الحار والبارد والبخار والتيار الكهربائي وبأدوات التنظيف اللازمة لمرافقتها .

الموظفون

يعمل في « أسري » حالياً قرابة ١٢٠٠ موظف ، ينتمون الى ١٧ جنسية . وتبلغ نسبة العرب منهم ٤٤ في المئة وقد تصل الى ٥٥ في المئة بنهاية عام ١٩٧٩ .

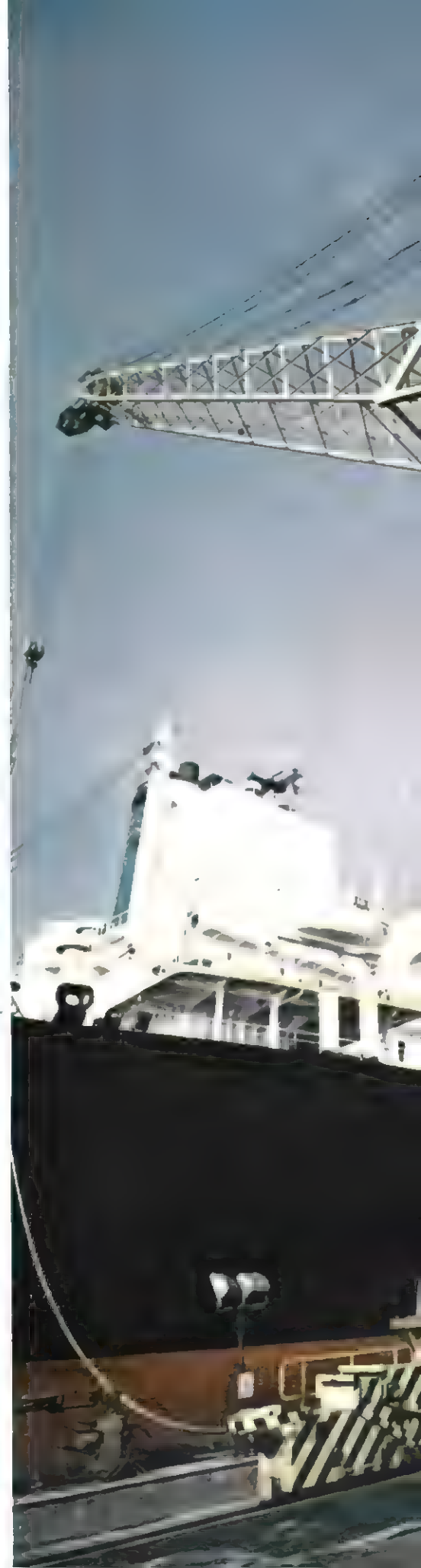
تدريب الموظفين

من أهداف الادارة في الشركة أن تجعل من الحوض الجاف معهداً لتدريب العاملين العرب في مجال الصناعات الثقيلة . فبرنامجها التدريبي التطويري يرمي الى تعريب جميع ما يتعلق بالحوض من أعمال ومصطلحات صناعية وغيرها وذلك تمهيداً لتولي الموظفين العرب حوالي ٩٠ في المائة من الأعمال الادارية والفنية في الشركة خلال عشر سنوات . لذلك فالتدريب يسير بشكل عام في مختلف الاتجاهات

التدريب على الادارة المتوسطة :

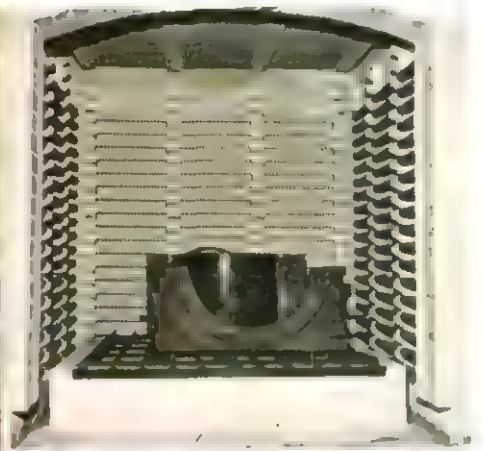
ويتكون من فرعين : الاداري ، ويشمل أعمال المحاسبة والتخزين والتسويق وإدارة شؤون الموظفين وغيرها من النواحي الادارية . والفني ، ويشمل الهندسة البحرية وبناء السفن والأعمال الميكانيكية والكهربائية ، من ناحية فنية ، والارشاد والملاحة البحرية .

وينقسم المتحقون بهذين الفرعين من التدريب الى مجموعتين : الأولى للجامعيين الحاصلين على درجة بكالوريوس علمي أو أدبي مع خبرة سنتين ، والثانية لمن أتموا دراستهم الثانوية فقط أو ما يعادلها . وأقل مدة تدريبية لأي من هذين الفرعين ١٨ شهراً ، وقد تمتد الى بضع سنوات حسب مجال تخصص المتدرب والعمل





الذي سيقوم به . فمثلاً القبطان قد يحتاج لنحو سبع سنوات أو أكثر حتى يتقن عمله ويبلغ مستوى الكفاءة المطلوبة .
التدريب العام : ويشمل مواضيع عامة مثل اللغة الانجليزية ، والرياضيات المبسطة ، وحسابات المقاييس ، والاسعاف الأولي ، والسلامة الصناعية ، والأمن الصناعي ، والوقاية من الحرائق ومكافحتها ، وأعمال السكرتارية . ويتوقع أن تعقد دورات للتدريب على تشغيل الرافعات المتحركة .



والتدريب في هذا القسم عبارة عن برامج تشتمل على مجموعات متنوعة من المواضيع ، ومدة التدريب تتفاوت ما بين دورة وأخرى .

يوجد في المركز في الوقت الحاضر نحو ١٥٠ متدرباً ، وبالإضافة الى التدريب في المركز فانه يرسل عدداً من المتدربين به الى خارج البحرين لانتماء تدريبهم ولاكتساب مزيد من الخبرة .

الشركة من الناحية الادارية

تسجلت الشركة في البحرين عام ١٩٧٤ باسم الشركة العربية لبناء واصلاح السفن - Arab Shipbuilding and Repair Yard « أسري - ASRY » . وكان أول رئيس لمجلس ادارتها سعادة السيد ماجد الجشي ، وزير الأشغال

انشاء شركة جديدة

نظراً للتنافس القائم بين أحواض اصلاح السفن في مختلف أنحاء العالم، فقد رأت منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط «أوابك» انشاء شركة أخرى مستقلة باسم «شركة خدمات التسويق للشركة العربية لبناء واصلاح السفن - Asry Marketing Services»، وجعلت مركزها لندن، وذلك بقصد تعريف أصحاب الناقلات في مختلف أرجاء العالم، بأسري وما تقدمه من خدمات. وقد أقامت الشركة الجديدة «أسريمار -

والطاقة والماء في البحرين. وفي يناير ١٩٧٨ خلفه سعادة الشيخ خليفة بن سلمان بن محمد الخليفة، وكيل وزارة التنمية والصناعة في البحرين. وطبقاً لاتفاقية خاصة، تقوم شركة ليزناف - Lisnave البرتغالية، وهي أكبر شركة لاصلاح الناقلات الضخمة في أوروبا وأكثرها خبرة، بإدارة الحوض والاشراف عليه. كما تقوم شركة «نافلنك - Navlink» بالاشراف على الخدمات الفنية وتعمل كحلقة ارتباط بين «أسري» في البحرين وليزناف في البرتغال.

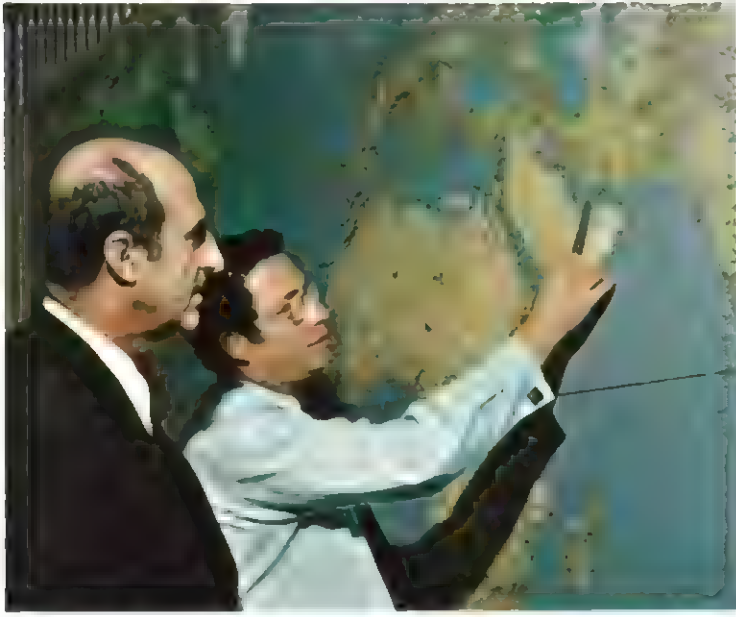
١. أحد قصور البحرين حيث يلتقي سادة من دول الخليجية وحسين في مجلس أسري
٢. إحدى السفن التي تم إصلاحها
٣. أحد العاملين في الشركة
٤. أحد العاملين في الشركة
٥. أحد العاملين في الشركة
٦. أحد العاملين في الشركة
٧. أحد العاملين في الشركة

١. أحد قصور البحرين حيث يلتقي سادة من دول الخليجية وحسين في مجلس أسري
٢. إحدى السفن التي تم إصلاحها
٣. أحد العاملين في الشركة
٤. أحد العاملين في الشركة
٥. أحد العاملين في الشركة
٦. أحد العاملين في الشركة
٧. أحد العاملين في الشركة





منظر جوي لمشروع «أسري» تظهر فيه
أحدى الناقلات الضخمة أثناء حباتها في
الميناء الحاف.



السيد ميشادو لوبس - المدير العام لشركة ، يشرح لمندوب القافلة ، أهمية موقع الحوض بالنسبة للناقلات أثناء غدوها ورواحها الى منطقة الخليج من مختلف بلدان العالم .

آخر أوسع وخاصة في مجال ناقلات الزيت التي تؤم منطقة الخليج لنقل الزيت العربي الى الأسواق العالمية . ولا يستبعد أن تصبح البحرين ، في المستقبل ، من البلدان التي يعتمد عليها في صيانة السفن البحرية على اختلاف أحجامها وبالتالي في بنائها . وهذا الأمر يحتاج ، بلا شك ، الى جهد متواصل وعمل دووب .

والبحرين ، اليوم ، وهي تتطلع الى المستقبل بطموح وأمل ترجو أن يكون انشاء هذا الحوض الجاف فيها من احدى الدعائم للاقتصاد والتصنيع العربي الذي ينتظر دوره الفعال ، وأن تكون « أسري » معهداً للمتدربين على الصناعات الثقيلة ليس لأبناء البحرين فقط وانما أيضاً لجميع أبناء الأقطار العربية وخاصة المشاركة في الحوض وهي : المملكة العربية السعودية ، والعراق ، والكويت ، وقطر ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، وليبيا ، والبحرين .

إبراهيم أحمد الشنيطي / هيئة التحرير
تصوير : داف داننج

« Asrymar » وكالات لأسري في ١٤ قطراً تمتلك ٩٧ في المئة من الناقلات الضخمة العالمية . كما عهد الى المستر جيفورد روسي وهو أحد الخبراء الذين رافقوا مشروع « أسري » منذ بدايته ، برئاسة مجلس ادارة أسريمار .

ومما لا شك فيه أن توفير الزبائن لأسري مهمة تحتاج الى جهد كبير ، وخاصة في الوقت الحاضر ، حيث يقوم تنافس شديد في مختلف مجالات اصلاح السفن والناقلات سواء من ناحية الأسعار أو الوقت الذي تستغرقه أعمال الصيانة أو الجودة والنوعية . وبطبيعة الحال سيظل موقع « أسري » عاملاً مميزاً لها عن سائر أحواض السفن الأخرى في العالم .

وبعد ، فقد كانت البحرين مركزاً له مكانته في مجال اصلاح السفن التجارية وصيانتها ، وتزويد المراكب العاملة بمنطقة الخليج بالكثير مما تحتاج اليه من زاد ووقود وماء . وما هي اليوم وبإقامة الحوض الجاف فيها تستعيد مركزها من جديد ، وأخذت أعمال الصيانة البحرية . وجهاً



بـريق الحـياة

للشاعر: فهد علي النفيسة



أوهـنّ العـجـزُ خطاه
بات موفـوراً ضـناه
بأنـاشـيد صـبـاه
وفـخـوراً بـقـواه
وسـمـا نـحو عـلاه
وكـذا البـحـر حـواه
أنّ للـخـلد جـناه
ودبـاراً بهـواه
خـانـه حـبّ الحـياه
فـي الرّقـى عـهـد صـباه
حـمـرة ممـا يـراه
أثـقـلـت حـمـل عـصاه
كـشـفـت عـنه يـداه
ويـلـه ممـا غـشاه
زاد فـيـما قـد دـهـاه
لـم يـبـن عـن غـير « آه »
قـارب العـيش مـداه
ثـقـلـت عـنـدي خـطاه
أنت مـن حـبّ الحـياه
أنـفـاً نـعم الوـفـاه ؟
يـعلـن الشـيـبُ ضـناه ؟
آه لـو أعـطـيت .. آه
مـا تخـيـرت عـداه
لـم تشأ غـير الحـياه
مـوفـ أمـضـي فـي سـواه
فهد علي النفيسة / مكة المكرمة

أي خـطـب قـد دـهـاه
مـا لـذا الشـيـخ يـكـي
كـان بـالأمـس يـغـي
كـان مـروراً بهـيجاً
مـلأ الأـرض جـهاداً
وحـوى البـر رجاءً
وجـنـى ربحاً فـظـن
ويـنـى داراً بـجـهـد
فأحـبّ العـيش حـتى
ظـن عـهـد الشـيـب يـحـي
فإذا بالشـيـخ يـكـي
وهمـت رجـلاه حـتى
وسـرى فـيـه ارتـعـاش
وغـشـا عـيـنـيـه لـيل
ودهمـى أذـنـيـه وقـر
ووهـى صـوتـه حـتى
أبـها الشـيـخ تجلـد
هتـف الشـيـخ : ولـكن
قـلـت : أصـبـر وتـحـمـل
لـم لـم تـرجُ وفـاة
لـم لـم تـرحـل ولـما
قـال : لـم أعـط اختـيارى
فإذا لاخـتـيرت مـوتـي
قـلـت : لـم تـعـط ولـكن
فـامـض فـيـما شئت أنـي

الدولة العربية والعربية العالمية

بقلم: الدكتور علوي جميل علوش

يبالغ المؤرخون والنقاد العرب في تصوير مدى تأثير الادب العربي بالآداب العالمية . فهم ينسبون الى احتكاك العرب بغيرهم من الأمم كل تقدم فكري أو رقي أدبي . ويحرصون على تلمس الصلات والروابط التي تصل ادبنا بغيره من الآداب . ولا يدخرون وسعاً في البحث عن هذه الصلات وتجسيما وتحويلها الى جسور كبيرة تعبر من فوقها شتى العلوم والفنون وتتقل شتى الملكات والعبقريات .

فنهضة الأمة العربية وتهيوها لتقبل الدعوة الاسلامية الكريمة كان بفضل اتصاها بدولتي الفرس والروم ، عن طريق الرحلات التجارية التي كان تجار مكة يقومون بها في مواسم معينة . فقد احتكوا بمدينة الروم وحضارتهم واستفادوا من ذلك علماً وذوقاً وبنوا حضارة .

وكذلك يذكر المؤرخون ان الدولة العباسية بلغت ما بلغته من حضارة وأبهة وتبسط بفضل احتكاكها بالفرس واقتباسها من حضارتهم وأساليب معيشتهم وأنظمة حكمهم بحيث أصبح الخليفة العباسي بما يملك من دور وقصور

ويخدم وحشم كأنه احد اباطرة الفرس . وكان لهذا كله أثر على الحياة الشعبية ، ظهر في المأكل والملبس وشتى مظاهر الحياة الاخرى .

ويذكر المؤرخون ايضاً ان احتكاك العرب بالفرس واليونان حفزهم على ترجمة علومهم ونقل تراثهم . فتولد عن ذلك نهضة علمية في العصر العباسي لا تضاهي ، كان من اثرها ما كان من ازدهار علمي وتقدم حضاري ما يرح يشع ويتألق حتى بدد ظلمات الجهل في الاندلس وفي اوروبا بعد ذلك .

وكذلك يذكرنا المؤرخون ان نهضتنا الحالية كانت نتيجة احتكاك العرب بالغرب المتحضر اذ غرانا في مطلع النهضة بعلمه وثقافته وبني في بلادنا المدارس والمعاهد ودور العلم مما اسفر عن نهضتنا الحالية التي ما برحت في ارتفاع وصعود .

وقد بلغ بالمؤرخين شغفهم بنسبة كل فضل في تاريخنا الى الاحتكاك بالاجانب ، ان عزوا نشوء علم النحو الى الاتصال باليونان او السريان . وحاولوا ان يلمسوا هذه

العلاقة بكل جد واهتمام ، وكأنهم يريدون ان يضعوا قانوناً على ان كل تقدم عربي مرده الى قوة اجنبية .

ونحن لا نريد ان نسجل هنا كل ما قاله المؤرخون والنقاد بهذا الصدد ، ولا ان نعدد المواطن التي برز فيها اثر هذا الاحتكاك واضحاً جلياً . فليس ذلك من شأننا . وكل ما نرمي اليه في هذا المقال تسليط الضوء على مبالغة المؤرخين في هذه المسألة بالذات .

ولا شك ان بعض هذه الآراء قد يكون صحيحاً بصفة عامة . أما ان نتلمس اثر الثقافة الاجنبية في كل همسة وكل لمسة فهذا مما يدعو الى الشك وقد يحتاج الى كثير من العناية لاثباته .

وأول ما يظهر لنا من هذه المبالغات حديثهم عن عبد الحميد الكاتب وابن المقفع ، إذ نراهم يستعينون بأوهى الأدلة لاثبات انهما كانا يتقنان اليونانية بالاضافة الى الفارسية . وقد حاول الدكتور طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ان يثبت هذا الرأي كل ذلك لان هذين الكاتبين أتيا بشيء جديد . وكأن الجدة لا يمكن ان تكون الا دخيلة .

ونلاحظ مثل هذا في محاولة الدكتور لويس عوض اثبات اتصال الشاعر الكبير ابي العلاء المعري برهبان دير الفاروس في اللاذقية وتعلم اليونانية عندهم . وهي الفرية التي كذبها الاستاذ محمود شاكر واثبت بطلانها في سلسلة مقالات نشرها في مجلة « الرسالة » التي كان يقوم على ادارتها المرحوم أحمد حسن الزيات ثم جمع هذه المقالات في كتاب عنوانه « اباطيل واسمار » .

ولما الدكتور لويس عوض استكثر على الأمة العربية ان تخرج شاعراً فيلسوفاً كأبي العلاء المعري فقدح زناد الفكر وصال وجال لتلمس حجة تثبت ان المعري كان يتقن لغة اجنبية للتدليل على ان عبقريته لم تكن اصيلة بل دخيلة مكتسبة .

والنقاد العرب حينما يتحدثون عن شوقي وحافظ ومطران يوثقون حافظاً عن زميليه لأنه لم يكن يتقن لغة اجنبية . ثم يردون كل ملامح العبقرية والقوة والاصالة في شعر كل من شوقي ومطران الى معرفتهما للغة الفرنسية واتقانهما لها وتزودهما بالثقافة الفرنسية ثم لا يجدون في شعرهما غير ما هو مأخوذ عن الفرنسية مقتبس منها .

وهم اذا وازنوا بين عدة شعراء رجّحوا من بينهم كفة من كان له اطلاع على ثقافة اجنبية فرنسية كانت او انجليزية او المانية او يونانية . فهم اذا تحدثوا عن الاخطل الصغير قالوا انه كان يتقن الفرنسية فتأثر بشعرائها . ويستشهدون على عراقته في الفرنسية بترجمته لبضعة أبيات عن الفرنسية ، الله أعلم كيف تمكن من ترجمتها .

ولقد طعن أحد النقاد بالكاتب الكبير عبد العزيز البشري لأنه لم يكن يتقن لغة اجنبية . فردّ عليه البشري رداً مفحماً وأثبت له ان كبار الادباء العرب لم يكونوا يعرفون لغة اجنبية . ومع ذلك فلا يستطيع ان يقترح في انتاجهم أو يطعن في منزلتهم الادبية احد .

وفي عصرنا الحاضر اخذ النقاد يهزأون من كل اديب لا يتقن لغة اجنبية . ليس ذلك فقط بل اخذوا يتندرون من كل من لا يستعمل اساليبهم وطرائقهم في الكتابة او يقلدهم في عاداتهم وتقاليدهم او يتشبث بنظراتهم وأفكارهم .

للثقافة الاجنبية عامل مساعد ولكنها ليست اساساً في تنشئة الادباء . ان الموهبة هي الاساس . ويبقى بعد ذلك الدربة والتمرين والاطلاع على مختلف الثقافات والعلوم وعلى رأسها تراث الامة التي ينتمي اليها الشاعر او الأديب .

وصفة القول اننا لا ندعو الى التزمّت والتفوق ولا ننادي بالعزلة والانقطاع . فالثقافة مهما كانت توسع الأفق وتعمق الفكر . ولكن لا نريد ان يصل بنا الوهم الى ان نظن في انفسنا العجز فنسخر من لغتنا وتاريخنا وقدراتنا ونقف على موائد الغرب فنغزو كل ابداع وعبقرية اليهم . ان لنا تاريخاً ولغة وثقافة كما ان لنا شخصية متميزة .

ومن العبث ان ننكر لما فنروح نبحت عن مصادر العبقرية في كل ما هو طارئ ودخيل علينا . على ان هذا لا يمنعنا ان نلتزم في الحديث عن الثقافة الاجنبية منهج العادل والانصاف فلا ننكر اثرها كما لا نجسم هذا الاثر ونضخم قوته وفاعليته . ومن الخير ان نتوخى الدقة والامانة في هذا السبيل فلا نسرف ولا نتزمت ونكون اقرب الى الحق والمنطق .

ومبعثهم وفاء على الساع محمد ود أبو الوفاء

بقلم: الأستاذ التريالي حرب

طالعنا الأهرام وغيرها بنياً وحيل الشاعر المعاصر الموهوب الأستاذ محمود أبو الوفاء الذي توفي صباح السبت ٢٨ من صفر ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٧ من يناير «كانون الثاني» ١٩٧٩ م عن ثمان وسبعين سنة . قضاها شاعراً موهوباً ، له طابعه الخاص ، وشخصيته المستقلة . وثروته الشعرية التي جمعت بين القديم والجديد . وقد ولد هذا الشاعر الصديق في مطلع القرن العشرين في قرية «الديرس» المصرية من أعمال مركز «أجا» التابعة للمنصورة . وبعد أن حفظ القرآن الكريم وفي الثانية عشرة من عمره تقريباً ، أصيب بمرض لم يجد معه الطب بداً من قطع إحدى ساقيه .. فإذا هو عاجز عن مسيرة أترابه في الحركة والنشاط ، وإذا أمواج الحياة الرهيبة تنفذه في قسوة وحشونة ، وهو يحاول دفعها عنه بمكازته أو بسجده الواحد الذي لا يقوم مقام المجدافين بحال . ومن هنا شب وفي نفسه ما فيها من ثورة وقردها الحرمان ، الذي أوحى إليه ما أوحى من «انفاس محترقة» ، احتراق الذهب لا احتراق الشموع ، وامتدت ثورته إلى كل شيء ، حتى والديه اللذين انجبا له لبوس والشقاء ، على حد تعبيره ، غير أنه برغم هذه الثورة العارمة كان قلبه غياضاً بالمحبة الشاملة للحياة والاحباب الذين أراد لهم أن يبادلوه حباً بحب ، وصفاء بصفاء ، ووفاء بوفاء ولكن مبهات ..

أمشي وقلبي على كفي أقول الا
من راغب في فؤاد صادق حائي
يحب حتى كأن الأرض ليس بها
الا زلايق من آس وسوسان
وليس في الأرض من بغض ولا إحن
وليس في الأرض من ظلم وطغيان
وليس من فوقها الا سواسية
من الصحاب ومن اخدان أخدان
فلا وربك هذا القلب ما التفت
عين اليه فيا للبائس العاني
وما كان الشاعر في حاجة الى هذا القسم بالله ، قدر
ما كان في حاجة الى الرفق بقلبه الانساني الودود ، الذي
التمس الظل الظليل هنا وهناك دون أن ينعم براحة او
سكن ، فعاد الى حيرته وقلقه :

في دعة الله قلب لم يجد سكنا
بأوى الى ظله فارتد حيرانا
يا ليل ساهره ، يا احلامه احتشدي
يا دمعته وانه سرّاً واعلانا
قد عاد يتكرني قلبي وأنكره
حيران في التيه يمشي خلف حيران
كلاهما - وهو متفاد لصاحبه -
حرب عليه ، هما القنان ضدّان
ورحم الله صاحب ذلك القلب الانساني الكبير ،
الذي عاش ما عاش وهو يريد ما لم يملك تحقيقه مصداقاً
لقوله :
أريد وما عسى تجدي «أريد»
على من ليس يملك ما يريد !!

وماذا كان هذا الشاعر الانسان يريد لغيره ؟ وماذا كان يريد لنفسه ؟ كان يريد التسامي بالغرائز الانسانية الى حيث السلام الشامل والمحبة السائدة بين جميع المخلوقات في هذه الدنيا :

أريد من الغرائز ان تسامى
فلا طمع يذل ولا حقوق
أريد لهذه الدنيا سلاماً
أريد الحب في الدنيا يسود

أريد لهذه الأنهار تجري
هنا وهناك ليس لها حدود
أريد لهذه الأطياف تشدو
كما يغني لها الصوت المديد
أريد لهذه الآمال تسمو

وتزهو في الحياة كما أريد
وهيئات ذلك هيئات ، ما دامت الغرائز هي الغرائز ،
وما دام في الدنيا ذئاب وحملان ، وما دامت الحقوق تؤخذ
ولا تعطى . وما دام الأمر أولاً وأخيراً للأقوى لا للأصالح .
ورحم الله صديقنا الشاعر الآخر محمد الاسمر :

اليوم ألسنة المدافع وحدها
مقبولة الدعوات طاهرة الفم
فالارض للأقوى على جناتها
ليست لانتقامها ولا للأعلم
الجو لم يملكه غير نسوره

والغاب لم يملكه غير الضيفم
وذلك ما اعترف به شاعرنا الحالم الانسان محمود ابو
الوفا غير مرة :

للغاب يا ابن الغاب
اهرب فذاك اللوح
تباً لضعف التراب
أغرى عليه الرياح
لولا في ذا الالهاب

ما هبض مني الجناح
وكان شاعرنا غبوراً على وحدة العروبة والاسلام
ولنستمع اليه هنا وهو يحثهم على التعاون ليحققوا آمالهم
وآمالهم :

يا عدة الضاد الكرام الى العلا
هيا فانكم رجاء الضاد
انتم سواعدنا الى آمالنا
انتم مراقبنا الى الامجاد
وطني هي الفصحى فكل بلادها
في مصر أو في الشام هن بلادي
هذا هو الوطن الذي احبنا له
وله أولي صادقاً وأعادي

وهو القاتل أيضاً :
أو ليس عاراً يا بني الاسلام
ان تصبحوا في الارض كالآيتام
يقضى عليكم في الأمور وما لكم
في الحكم من نقض ولا ابرام
كم جاءت الأيام تفضي سرها
لكم فأعرضتم عن الأيام

وكان رحمه الله يدعو الى التمسك بالأعمال قبل
الأقوال ، لأن الأعمال هي لغة التقدم والنهضة في عصرنا
الحديث ، وفي هذا الصدد يقول :

ابن الرجال وهيء الأموال
واطلب فلست ترى هناك محالا
الامر ليس خطابة وتفيها
كلا وليس عواطف وخيالا
لكنها الأوطان إن تنهض بها
فاحشد لها الاعمال لا الأقوالا

وما زاد شاعرنا ألماً على ألم — وهو يستعرض مواكب
بعض الأعياد — انه افتقد ذكريات طفولته الحلوة ، ومعالم
صباه الناضر ، فلم يجدها لدى أتراه وانداده الذين طالما
لاعبهم ايام العيد في حرية الطيور المغردة ومرحها ، وقد
احت تلك المعالم ، وتعت تلك الجياد ، واستحالت الآمال
آلاماً ، والبسمات دموعاً :

اخبرني اين السرور توارى
وتولى بفرحة الاعياد ؟
اين ما كنت أجتلي العيد فيه
من وجوه اللدات والانداد ؟

عطلت تلكم الملاعب منا

وتعرت سروج تلك الجياد

ذلك غيض من فيض ما اراده الشاعر الانسان لغيره ،
فماذا اراد لنفسه ؟ وهل وصل الى ما اراد قبل الرحيل عن
دنياه ؟

لقد اراد لنفسه غنى مادياً وغنى أدبياً متعادلين ، دون
أن يطغى أحدهما على الآخر :

أريد من الغنى حظاً كنفسي
كفاء ليس ينقص أو يزيد

وأراد لنفسه حرية الطيور المنطلقة في الفضاء ، دون
ما قيد أو عناء فقال :

أريد العيش مثل الطير حراً
طليقاً لا تغلله القيود

أريد افك عن نفسي قيوداً
يقاد بها على الخسف العبيد

واراد لنفسه — على الرغم من هذه الحرية — الاعتصام
بما تيسر من القيم الروحية التي قلم بها اظافير غريزة
العدوان فيه :

علم الطير ذو الجناحين انني
ان اطر لم اقع وراء مرادى

غير أنني قلمت ظفري عن الشر
وآثرت شكة الأجماد

خلق ليس بالجديد علينا
وسجاياء تليدة عن تلاد

وأراد الاعتماد على نفسه وموهبته في الوصول الى المجد ،
برغم العجز الذي اصابه في احدى ساقيه معظم حياته ،
ثم العجز الذي اصابه في عينيه في أخريات حياته ، ولنستمع
الى شاعرنا رهين المحابس لا رهين الحبسين وكفى :

طولي ليالي البين لا تتقاصري
لأرى الزمان عناده وعنادى

اني طلبت المجد من عملي انا
لا من يد الأقدار والأجداد

قسماً بذات المجد إما نلتها
او نلت فيها فخر الاستشهاد

ذلك بعض ما اراده الشاعر لنفسه وهو صاحب

الاحساس المرهف ، والمزاج الرقيق ، الذي يرق شعره ويرق .
بل يشف ويشف ، حتى ترى « ألفاظه في صوته ونغمته ،
وفي جرسه وطعته » على حد تعبير الامام الجرجاني :

رباه ما هذا الشقاء ؟ الى متى
سأظل اشكو في الحياة بضيقى ؟

ما دمت قدّرت الشقاء على الفتى
فلما خلقت له مزاج رقيق ؟

وما كان ارق مزاج هذا الشاعر الذي لم تدعه دنياه
يضحك لها — كما ينبغي — مصداقاً لبئته الرائع الجميل :

أحب اضحكك للدنيا فيمنعني
ان عاقبتني على بعض ابتسامات

ولم تسع روحه الشاعرية سرائره واسراره ، فضاقت به
او ضاق هو بها ، فأذن لها في العودة الى مستقرها حتى
تريح وتستريح :

ضاقت مساحة روحي عن صرائرها
فيا لروحي كم تشقى بأسراري

وقد باحت روحه له أخيراً بسرّ الحياة ، فرحل عنها
الى جوار الله :

نام عن سكرة الحياة وقد جف
شراب السلوان في أكوابه

بسمات الرضى على شفثيه
وشتات الروى على اهدابه

وبنات الغروب تسكب في أذنيه
موجات عوده وربابه

يا بنات الغروب قد نفض الليل
على الكون حالكات نقابه

احملي الراحل الغريب وسيري
بالزغاريد سلوة لاغترابه

وادخلي هيكल الفنون وابقيه
سراجاً يضيء في محرابه

وسلام على الشاعر الانسان محمود ابي الوفاء الذي
وقف جل حياته لخدمة الضاد ، رحمه الله وبلبل ثراه •

هذا الكتاب عن مجمع اللغة العربية
بدمشق في أواخر عام ١٩٧٦ م
وهو لأبي عبد الله الحسين بن علي النعمري
المتوفى سنة ٥٣٨٥ هـ ، وتحقيق وجيهة أحمد
السّطل التي نالت به درجة الماجستير من قسم
اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة
عام ١٩٧٣ بإشراف الدكتور السيد يعقوب
بكر .

وقبل المضي في عرضنا للكتاب ، نتوقف
قليلاً كي نلقي بعض الضوء على كتب التراث
الذي يعتبر فكر الأمة ووجدانها سواء في ماضيها
البعيد أو القريب .

إن كتب التراث لدينا وفيرة في مواضيع الأدب
والعلم ، ولكن أضعاف هذه الكتب ما زال حتى
الآن مخطوطاً ومحفوظاً في خزائن الكتب ، وفيه
النادر والنفيس الذي لا يعرفه إلا القليل .

وإذا كان الكتاب العربي قبل اختراع الطباعة
بمئات السنين ينتشر بواسطة « النسخ » وهو ما
أصطلح على تسميته قديماً باسم « الوراقة » ،
فإن كنوز الكتب المخطوطة الموجودة في مكتباتنا
العربية يجب أن تحقق وتطبع من أجل أحياء
تراثنا العربي بفضل جهود باحثينا العرب وتقديم
الطباعة في عصرنا الراهن .

وليست هناك لغة من لغات العالم زحرت
بموروث الثقافة والفكر ونقلت من صنوف المعرفة
والعلم مثلما نقلته وزحرت به لغتنا العربية في شتى
المجالات مما كتبه وصنّفه الأدباء والعلماء
والدارسون ، وأسهموا به في دفع مسيرة
الحضارة العربية التي تأثرت بها الحضارة
الأوروبية .

وتحقيق كتب التراث العربي ونشرها أمر
شريف القصد ، كبير الأهمية ، وعظيم الفائدة ،
غير أنه مسلك صعب لا يقدر عليه إلا من توفر
لديه غزارة الاطلاع ، ووفرة العلم ، لأنه لا بد
أن يكون بصيراً بالأساليب العربية في مختلف
معانيها ، عارفاً بموارد الكلام ومصادره ، فطناً
لصحيحه وفاسده ، صادق الحدس في موضع
الخطأ والنقص ، إلى جانب مشاركته في الكتاب
الذي يحققه من خلال ربطه الحاضر بالماضي ،
والنظر إلى العمل نظرة شاملة تقوم على منهج
علمي وتستند إلى أسس موضوعية .

وبعد هذه الوقفة السريعة حول موضوع
أحياء كتب التراث ، نعود إلى الكتاب الذي بين
أيدينا ، لتساءل : ما هي نوعية هذا المخطوط
الذي يحمل اسم كتاب الملمع ؟

في مقدمتها للكتاب تقول المحققة انه :
« بمثابة معجم صغير لألفاظ
الألوان في اللغة . نسقه مؤلفه بطريقته الخاصة
التي تجمع بين ذوق الأديب في اختيار الشواهد ،
ودقة اللغوي في تبويب أفكاره ، وتنسيقها ،
وتفصيلها . وكون المخطوط يتحدث عن مفردات
معينة يجمعها إطار اللون ، ظاهرة جديدة بالدراسة
وخاصة لأن معاجم المعاني التي صنفت في عصر
المؤلف وما قبله اهتمت بوحدة الموضوع ،
فكانت كتب الأبل والشاه والخيال معاجم
متخصصة ، أو كانت أمثال المخصص لابن
سيده معاجم شاملة للكثير من الموضوعات . ولم
تستأثر باهتمام أحدهم هذه الفكرة الطريفة ،
وهي ان يجمع مصّيات الألوان ، كلاً على
حده ، ويستعملها بالحديث عن صفات كل لون
وموكلاته . »

وحول اسم الكتاب تقول المحققة : « ولعل
تسمية المؤلف لكتابه بالملمع — على غرابتها —
تحمل الكثير من الشحنة اللونية . فالتلميع لغة
أن يكون في الخيل بقع تخالف سائر لونه
وكان المؤلف قصد إلى تنوع الألوان في كتابه ،
واستقلال كل لون منها بذاته استقلالاً يجعله
مخالفاً للألوان الأخرى في نوعه ، وتوافقاً معها
في تكوين لوحة لونية متجانسة . »

والنسخة التي حققها الباحثة تعتبر فريدة
« ليس سواها في العالم ، مما جعلنا نتحرى من
تعارض النسخ ، واختلاف الروايات . »
ولكن ، من هو صاحب هذا المخطوط
الفريد ؟ وفي ترجمة المحققة لحياة المؤلف تشير
إلى سيرته وأعماله .

اسم الكتاب ولقبه

اسمه : الحسين بن علي ، وكنيته : أبو
عبد الله . وأما لقبه : النعمري فقد جاء فيه
« النعمري بفتح النون والميم وفي آخرها راء
هذه النسبة إلى : « نمر بن قاسط بن هنب بن
أقصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن
نزار بن معد » وقد زاد بعض المترجمين له كلمة :
البصري نسبة إلى البصرة ببلده .

ولادته ووفاته

لا يعرف تاريخ ميلاده ، فلم يذكره ، من
ترجم له ، وأما تاريخ وفاته فقد أجمعوا على أنه
توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وقد نشأ
في بيت علم ، وتعلم القرآن الكريم ، ونما وتعهّد



لأبي عبد الله الحسين بن علي النعمري
تحقيق وجيهة أحمد السّطل
عرض : عبد الرحمن شلش

نفسه بالاطلاع والمعرفة ، وتردد على حلقات العلم ، وعرف آداب العرب وأخبارهم وأيامهم .

كانت العلمية

كان لغويًا أديبًا ، وذكر الثعالبي أنه كان من صدور البصرة ، جمع العلم القوي القويم ، والحفظ الغزير ، كما اشتغل بالنحو ، وكانت له فيه جولات ، ولكنه كان لغويًا أكثر منه نحويًا . وأكثر مؤلفاته دلت على اهتمامه باللغة .

شعره

كل الذين ترجموا للنمري أوردوا نماذج من شعره ، ولعل بعضهم تحدث عن شعره أكثر مما تحدث عن فاحيته اللغوية والنحوية .

مؤلفاته

من مؤلفاته ، عدا كتاب الملمع : « أسماء الفضة والذهب » و « الحلى » و « الخيل » و « معاني الحماسة » .

أما كتاب « الملمع » فهو نسخة خطية جيدة - كما تقول المحققة - وموجودة في مكتبة بني جامع في استانبول ، وتوجد نسخة مصورة بالميكرو فيلم عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ويقع المخطوط في ست وتسعين صفحة ضمت كل صفحتين منها في ورقة واحدة عند التصوير ، وفي كل صفحة عشرة أسطر تحوي سبعين كلمة في المتوسط ، وهو مكتوب بخط نسخي ، واضح ، جميل ، مشكول الى حد التمييز . وعلى الصفحة الأولى منه نجد : كتاب الملمع صنعه أبو عبد الله الحسين بن علي النمري رحمه الله .

وقال النمري في مستهل كتابه : « هذا كتاب ألفناه ، لينظر فيه ابن العم ، والصديق الأحم ، فإن رأى حسنة قال ، وإن رأى سيئة أقال ، والكتاب اذا طال أمل ، واذا قصر أخل » فجعلناه بين ذينك مع استكمال الافادة ، واستغراق الارادة . (ص - ١) .

وقال : « إن الله عز وجل ، خلق الألوان خمسة : يياضاً وسواداً وحمرة وصفرة وخضرة ، فجعل منها أربعة في بني آدم : البياض والسواد والحمرة والصفرة . » (ص - ١) .

والأبواب الخمسة في الكتاب تدور حول هذه الألوان الخمسة التي خلقها الله سبحانه وتعالى .

ومما جاء في ذكر البياض ، يقال : أبيض يبق - قال رؤبة بن العجاج : « من الرجز : »

ومما جاء في ذكر البياض ، يقال : أبيض يبق - قال رؤبة بن العجاج : « من الرجز : »

وأبيض يبق ويق - يفتح القاف وكسرهما - شديد البياض ناصعه . والتهق والتهاق : الأبيض الشديد البياض كما هو موضح في الحاشية الأولى والحاشية الرابعة (ص - ٩) .

وجاء في ذكر السواد ، يقال : أسود حالك وحالك ، وهو أشد سواداً من حنك الغراب ومن حلكه . فحلكه : سواده ، وحنكه : منقاره . قال النابغة الذبياني : من « البسيط » :

فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً

في حالك اللون صدق غير ذي أود

وقد جاء في الحاشية الثانية : الروق : القرن ، لأن الثور طعنه وحمله في قرنه . والصدق : الصلب وقوله غير ذي أود : أي غير ذي اعوجاج . والشاعر يصف الكلب حين طعنه الثور بقرنه الصلب فتجمع على نفسه وانقبض وطفق يعض أعلى القرن الصلب المستوى محاولاً الهرب من هذا الموت المحتم .. (ص - ٦٠) .

ومما جاء في ذكره الحمرة ، اذا كانت الناقة حمراء فهي كبيت . قال حميد بن ثور : « من الطويل » :

وعاد مدامها كيتا وشبهت

كلوم الكلي منها وجارا مهدما

ومدامها : لونها الأحمر المشبوب بصفرة . والوجار : الحجر . يريد كلومها برئت وامتلأت ، واستوت بغيرها . فصارت كالوجار الذي تهدم فاستوى بالأرض - الحاشية السادسة (ص - ٩٣) و (٩٤) .

ومما جاء في ذكر الصفرة ، يقال أصفر فاقع وفقاعي . وقال ذو الرمة : « من الطويل » :

وجيد ولبتات نواضع وضح

اذا لم تكن من نضح جاديه صفرا

والجادي : الزعفران ، وهو يصف عنق الحبيبة وموضع القلادة من صدرها بالبياض الناصع . وقد يصفر مثلوناً بطيب الزعفران الذي تتعطر به حيث كانت النساء يتطين بالزعفران .. (ص - ٩٧) .

ومما جاء في ذكر الخضرة ، يقال أخضر ناضر ، وأخضر باقل ، وأخضر حانيء وذلك في حالة اذا اخضرت الأرض والتف نبتها . وسئل أعرابي عن القراصة فقال : هي عشبة لها نور أصفر ، وهي نحو الأقحوانة حائنة الخضرة ،

أي شديدة الخضرة .. (ص - ١٠١) .

وتحرص الباحثة المحققة على تزويد الكتاب بفهارس للأعلام ، وألفاظ الألوان ، واللغة ، والقوافي ، وأنصاف الأبيات ، والرجز ، والآيات والاحاديث ، والأمثال ، مع ثبت بالمراجع التي اعتمدت عليها في تحقيقها وهي أكثر من مائتي مرجع .

ويمكن أن نشير الى النتائج الطيبة التي أسفر عنها تحقيق المخطوط تحقيقاً يتميز بالدقة والتعمق ، ونجملها في النقاط التالية :

أتى المؤلف بشواهد فريدة ، لشعراء مشهورين ، جمعت أشعارهم أو حققت دواوينهم ولم توجد تلك الأبيات فيها . روى عدة من الأبيات رواية ، تبين من التحقيق والبحث أنها الرواية الصحيحة وأنها خير مما جاء في الشعر المعروف .

بعد تصنيف المؤلف للمفردات اللونية فريداً في باب ، ينم عن سعة أفق صاحبه ، وعن قدرة كبيرة في الاستيعاب اللغوي ، ثم إعادة التنسيق والتبويب بأسلوب منظم ، دقيق ، محكم .

إن المؤلف - على أهمية ما ذكره من ألفاظ الألوان وصفاتها ومسمياتها - لم يأت بها كلها . وما كان عمله عملاً استقصائياً لغوياً ، بقدر ما كان - وكما ذكر في مقدمته - عرضاً للمعارف ومفاهيم ، توصل اليها المؤلف اجتهداً أو سماعاً ، فأراد أن يفيد بمعرفته . وتلك أبداً سجية العلماء .

تبين من دراسة الكتاب أن المؤلف من العلماء الأجلة الذين أسهموا بنصيب في حركة التأليف اللغوي .

لم يخل الكتاب من أخطاء ، يمكن رد بعضها الى خيانة الذاكرة ، أما بعضها الآخر فيمكن أن نعدّه مما تفرد به المؤلف من آراء لغوية ، وإن كان قد خالف بها جمهور اللغويين . فأقدميته ، ونقله عن أبي ريش تلميذ ابن دريد يؤملانه لأن يكون له آراؤه الخاصة كما كانت للأخوين آراؤهم . وما زلت استغرب ندرة اشارة كتب اللغة الى هذا العالم اللغوي الجليل .

والجدير بالذكر أن المحققة قد نالت درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة القاهرة عن موضوع : « التأليف في خلق الانسان من خلال معاجم المعاني » .

عبد الرحمن شلش - القاهرة •

التموين في الزمن القديم

في عهد النبي يوسف عليه السلام

بقلم: الأستاذ بشري أمين

ويستيقنوا بأنه هلك ، وهم لا يشعرون . أي بما يوؤل اليه أمره من بعد من تمكن الله اياه في الأرض وجعله سبباً لانقاذ حياة الكثيرين من البشر من المجاعة . وكان دافع أخوة يوسف الى هذا الكيد ، الحسد والغيرة لمحبة أبيهم له وإثارة عليهم . فأرادوا اهلاكه ليخلوا لهم وجه أبيهم ويكونوا من بعد يوسف قوماً صالحين على حد زعمهم . فكان كيدهم خيراً عليه وعلى اخوته أنفسهم وعلى سائر أهل عصره بدل أن يكون شراً على أخيه كما قصدوا وأرادوا وذلك حيث يقول الله تبارك وتعالى في القرآن المجيد مرة أخرى لتوضيح المعنى وتجليه الحكمة للمبصرين: «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء» . هذا فوق ما وهبه الله اياه من مقام النبوة الكريم والسلطة الواسعة الكاملة التي خوله فرعون اياها في أرض مصر .

وكذلك وقعت الإشارة الى هذا المعنى السامي الدقيق في التوراة على لسان يوسف مخاطباً إخوته بعدما عرفهم بنفسه ورأى في وجوههم الأسف والفرح مما اجترعوا في حقه : «لم تفعلوا أنتم شيئاً سوى أن جعلكم الله سبباً ليرسلني قدامكم لاستبقاء حياتكم وليجعل الله لكم بقية في الأرض ونجاة عظيمة » .

القرآن والتوراة ، من كلام الله الأزلي القديم لو ما أصاب التوراة على أيدي بعض من أنزل عليهم من بني اسرائيل من التحريف والتبديل والتزييف وفق أغراضهم الخاصة ومنافعهم العاجلة . ومن أصدق من الله قيلاً أو أهدي سبيلاً ؟ وكذلك قد اعتمدنا بخلاف هذين المصدرين المهمين على بعض المصادر التاريخية الأخرى .

كل من يتدبر معاني القرآن الكريم يعلم علم اليقين ان الله أراد بالعالم في عصر يوسف الصديق ، عليه السلام ، خيراً كثيراً حين سولت لاختوته أنفسهم الأمانة بالسوء القاء في غيابة الجب ليلتقطه بعض السيارة ويسعوه في مصر بشمن بخس دراهم معدودة . وكانوا فيه من الزاهدين . فلولا هذا الحادث المستهجن لانقرض على أغلب الظن جوعاً أكثر من على أرض مصر وما جاورها من أقطار في ذلك العهد السحيق مما حملته السنوات السبع العجاف التي خيمت بعد ذلك على مصر وما جاورها من البلدان . وأنزلت فيها الجذب والقمط .

والى هذا المعنى السامي أشار الله تعالى في حكم تنزيله ، مخاطباً يوسف مشيراً الى اخوته «لننبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون» أي بأمر تأمرهم عليه والقائه في الجب بعد أن تمضي السنين

وتع اختياري على كتابة هذا الموضوع « التموين في الزمن القديم » للمهرجان الأدبي الخامس الذي أقيم في الأبيض عام ١٣٦٢ هـ لأن الحالة الحاضرة آنذاك تلائمه وتدعو اليه (١) ، وهي كذلك اليوم . فمن الحكمة وسداد الرأي أن يدخر الانسان القوت في أوان الفرج والرخاء لينفعه في وقت الضيق والبلاء مما يتولد عن الحروب والمجاعات عادة . فيتيسر له اجتياز محنها العديدة بسلام واطمئنان . فالأمم المتحضرة القديمة وكذلك الأمم المتعدنة في هذا العصر تعرف نظام التموين عندما تخشى من ويلات حرب أو مجاعة . فتلجأ اليه تنقي بادخار القوت أهوال المجاعات التي قد تؤدي الى حصد الكثير من البشر والمخلوقات الأخرى .

وفي هذا البحث عرض سريع موجز وفق الخطة التموينية واسعة النطاق التي كان يشرف على ادارتها في ذلك العصر البعيد صاحب فكرتها الأولى ومقترحها على فرعون مصر ، سيدنا يوسف الصديق بن يعقوب عليهما السلام . معتمدين في التصدي بالكلام لهذه الخطة في المقام الأول على القرآن الكريم ثم التوراة الذي هو أقدم كتاب على وجه الأرض اطلاقاً والذي نزل القرآن مصداقاً له . وكلاهما .

عاقلاً يسمع القول فيتبع أحسنه . ففكر ملياً في من يخرج بالرعية وما رعت من هذه الداهية الدهياء من ذوي الحكمة والعقل عندما تدهمهم سنون الجذب السبع العجاف ، ولا زالت هناك فسحة من الوقت كافية . اذ أمامهم سبع سنوات مخصصة ممرعة فلم يجد من يصلح لهذا الأمر غير هذا الفتى العبراني الغريب الذي لما تتجاوز سنه الثلاثين عاماً المائل أمامه والذي تنبأ له

ومعنى السنايل التي رآها فرعون في المنام . وكان فرعون كما ذكر « محمد رشيد » صاحب مجلة « المنار » ، من ملوك العرب الرعاة وهم المعروفون في التاريخ بالهكسوس أو العمالقة الذين ملكوا مصر عدة قرون قبل ظهور ابراهيم عليه السلام وكانت مدتهم بمصر ما بين الأسرة الرابعة عشرة والثامنة عشرة التي منها «أحمس» الذي طردهم من مصر ، وكان هذا الفرعون رجلاً

وكان يوسف عليه السلام عندما خرج من سجن فرعون بأمره ليمثل أمامه ويعبر له عن الرؤيا التي أفزعته، ابن ثلاثين سنة ، وقال فرعون يقص على يوسف رؤياه : « اني كنت في حلمي واقفاً على شاطئ النهر ، فرأيت سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف . وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . فقال يوسف لفرعون : حلم فرعون واحد . أي واحد معنى البقرات



بما يكون في المستقبل وما سطره الله في لوح قضائه من الأمر المبروم المحتوم . وعلم كذلك ما يريد الله للعالم من خير وحسن مخرج من هذه المحنة الطاغية . فقال يوسف : « اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم » . فقال فرعون : « قد جعلتك على كل أرض مصر . وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف . وخوّل السلطة التامة في أمره ونهيه في الرعية . الا أن كرسي الملك يكون لفرعون . فشرع يوسف الصديق . عليه السلام . بثقل التبعة الملقاة على عاتقه وعرف أنه قد أصبح في مركز دقيق يصح أن يحسد عليه في زمن اليسر والرخاء ولا يحسد عليه في زمن الضيق والبلاء . ويجب أن يقوم بحزم وعزم على التوقي من السنين الطواحن مدة السنوات المخضبات ليخرج برعية فرعون الذي صدق نبوءته بهذا الشأن . ووضع فيه ثقته التامة وبالع في اكرامه والحفاوة به في أرض منزله بعد خروجه من السجن الذي زج في أعماقه ظمأ وعداواناً . أراد أن يخرج بالرعية سالمة من العطب وهوة الهلاك الذريع المنتظر فوجه جهوده وحصرها في زراعة كل المساحة التي تثمر حنطة وتوتني أكلها بإذن ربها . فزرعها مستعيناً بعبيد فرعون الذين لا يحصى لهم عدد وبأكثر الرعية التي تدب بالطاعة لفرعون وكان يوسف مع ذلك يتقاضى من الفلاحين خمس الغلة فيضيفه الى المخازن والأهراء واستمر على ذلك سبع سنوات دأباً ، كان يذر فيها الحنطة في سنبها لئلا تتسرب اليها الرطوبة أو يتلفها السوس في المخازن العديدة التي ضاقت بها فحزنها في مخازن جديدة تسمى

المطامير . وكانت مخازنه وأهراؤه مبنوثة في كل الأماكن من مدن مصر وحواضرها وأريافها عليها حفظة وأمناء من قبيله كان يجمع فيها كل الغلال المحصود في دساكرها وضواحيها التي جابها جوباً وتفقدتها شبراً شبراً في طول البلاد وعرضها بنفسه ومن اختار من أعوان للوقوف على أحوال الرعية بالتفصيل لمقاومة المحنة المنتظرة بكل ما ينبغي لها من حزم وحكمة وشدة مراس وتوق واحتراس . وكان الحب في سني الجذب لغذاء الناس والسنبل الذي خزن بما فيه من غلة بعد أن تستخلص منه الغلة غذاء للدواب .

ثم انصرفت سنوات الرخاء سريعاً كخلسة من خلصات السعادة . وحلت السنة الأولى من سنوات الجوع العصبية . اذ لم يفض النيل فيصانه السخي السابق فيروي الأراضي التي يمكن أن تزرع فتسد حاجة الشعب من الغلة التي كان يقتاتها عادة . ولجأت الرعية الى يوسف



لتموينها بالأقوات لما نفذ ما لديها من قوت مدخر . وكان الله تعالى مع عبده يوسف الصديق في بلاد الغربة يسدد خطاه وينجح مقصده في تنفيذ عمله الانساني العظيم الذي أحيا به نفوس البشر من معاصريه وخدم به فرعون وقومه من المصريين والعبرانيين وغيرهم من الأمم التي كانت تتاحم مصر في ذلك الحين . ووضع بذلك لمن بعده من الأمم نظاماً تتبعه وتسير عليه في مثل هذه الاحوال العصبية . فعين بمعرفته أمناء مخازن وحفظة ممن كان يثق بهم ويطمئن الى أمانتهم وصدق اخلاصهم في خدمة الوطن وتنفيذ خطته الحكيمة المحكمة . فقاموا من قبلهم بما عهد اليهم خير قيام . ثم أقدم يوسف على عمل آخر يعد جديداً في ذلك العصر وهو احصاء السكان وتسعين الصغار . فقد أسند . عليه السلام . الى أعوان له هذه المهمة في حواضر مصر وأريافها وبواديها وذلك للاستعانة بذلك على تقدير فريضة كل طفل وطفلة من قوت يومه وكان عليهم رقيقاً حسيباً . فهذا العمل أشبه ما يكون بنظام الاحصاء المتبع عندنا الآن ابان الحروب لتوزيع مواد التغذية الضرورية والأقمشة للشعب كما حصل في الحربين الكونيتين الماضيتين . وذلك ليتمكن من إعطاء كل أسرة كفايتها اليومية من القمح .

وهكذا وجد فرعون في يوسف . عليه السلام . أميناً مخلصاً وخداماً للانسانية ، متفانياً في خدمتها وفي محبته الخير لكافة الرعية . ففوض اليه جميع الأمر ، وأفرده بكل السلطة التي له على الرعية •

كتب مهنة

حظيت مكتبة القافلة بالمؤلفات الأدبية والثقافية والتربوية التالية :

■ « التقرير الذهبي » عن مدرسة التهذيب الالهية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة . وقد أبان التقرير الاهداف التي تسعى المدرسة جاهدة لتحقيقها وهي تحفيظ القرآن الكريم وتزويد طلابها بالعلوم الدينية التي من شأنها الإسهام في رفعة الاسلام واعلاء كلمة الله .

■ « مرآة العلوم » ، وهي مجلة سنوية جامعة تصدرها اللجنة الثقافية والفنية بأسرة المتفوقين بكلية العلوم في جامعة الرياض تحت اشراف الدكتور راشد المبارك . وهي تبحث في مختلف انواع العلوم .

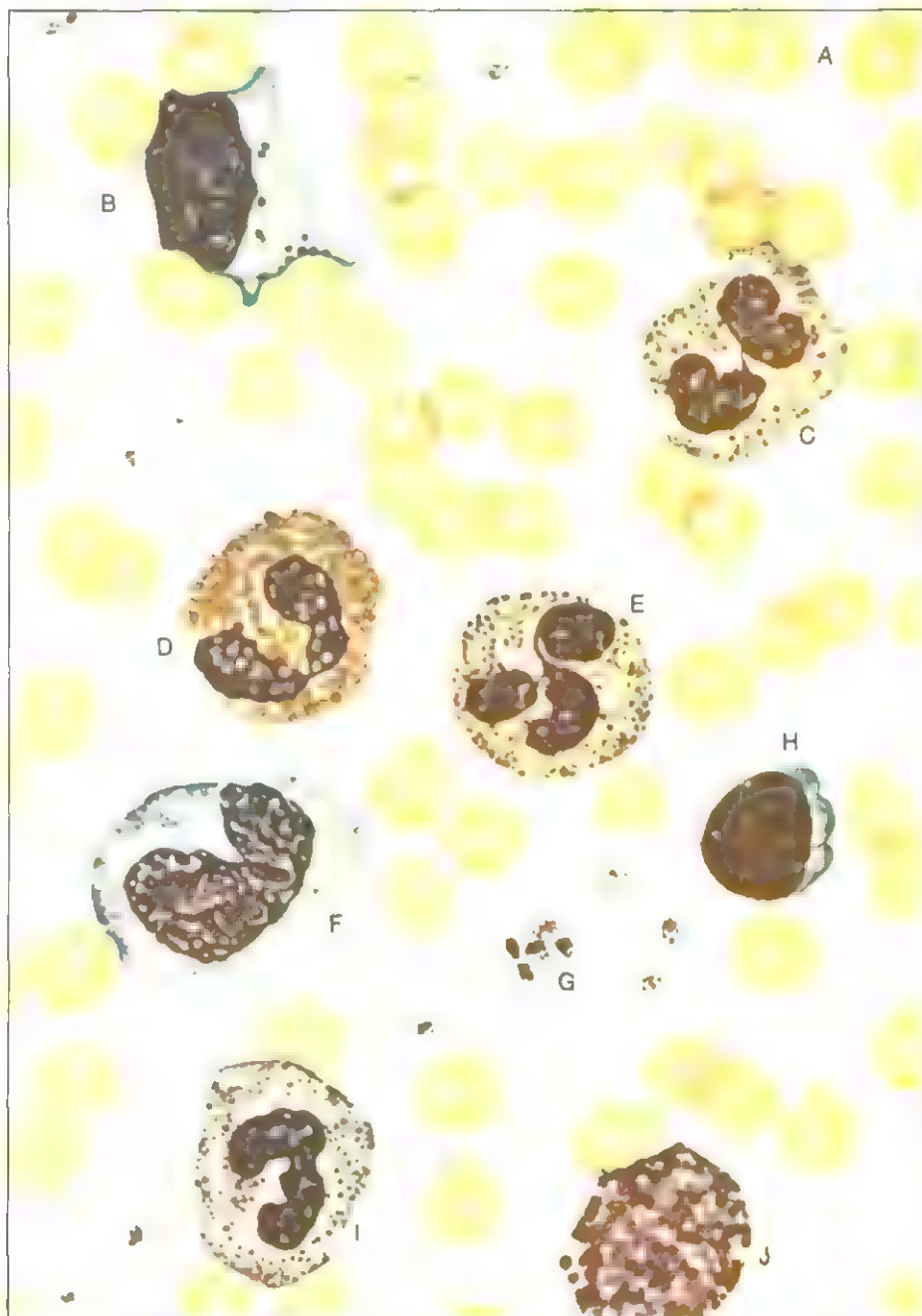
■ الجزء الأول من « ديوان العواد » للشاعر محمد حسن عواد وقد قسمه الى ثلاثة اقسام وهو يقع في ٢١١ صفحة وقد ضمنه صاحبه العديد من المقطوعات الشعرية الجميلة .

■ ضمن الجهود المستمرة لنادي الطائف الأدبي لتحقيق التراث والمشاركة بابرازه ، صدر مؤخراً كتاب « المختصر » من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر . من تأليف الشيخ عبد الله مرداد أبي الخير واختصار وترتيب الاستاذين محمد سعيد العمودي واحمد علي . ويقع الكتاب في جزئين من الحجم الكبير ، وهو يعنى بالترجمة لحياة نخبة من علماء وأدباء وأدبيات مكة المكرمة خلال الخمسمائة عام المنصرمة . ويظهر جهد المؤلف جلياً في تقصي أخبار من ترجم لهم بالدقة والشمول ، فهو يلقي الضوء على الشخصية مبرزاً خلفيتها الثقافية وحياتها الاجتماعية ، ويعرف بالمؤثرات العلمية في تكوين شخصيات كتابه . ويحوي الكتاب ترجمة مكثفة لأكثر من ستمائة شخصية اعتمد فيها على ٢٧ مرجعاً ، بعضها منشور والبعض الآخر لم يزل مخطوطاً ، ولعل من أهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب ظاهرة العدد

الكبير من النساء العالمات والأدبيات اللاتي زخرت بهن الحياة الفكرية العلمية في مكة المكرمة طوال تلك الفترة ، اذ لم تقصر بهن ظروفهن الاجتماعية عن تحصيل العلم والتعلم على ايدي كبار العلماء باخلاص وجدية تبهر المتتبع لتلك الحركة العلمية النشطة . وقد صدر الاستاذ عبد القدوس الانصاري لهذا الكتاب ، مشيراً الى جهد مؤلفه العالم الشيخ عبد الله ابو الخير وإلى الجهود التي بذلها الاديبان المحققان ، وعبر عن اهمية العمل الذي اضطلعوا به بقوله « ومهمة تحقيق كتب التراث ووضعها في اطار حديث ، ووضع هوامش تعريفية ، أو توضيحية لبعض ما ورد فيها من تراجم ومعلومات ، هذه المهمة جد صعبة ، وتقتضي مسن ممارستها ان يتوشح بصبر عميق ، واستمرار متواصل ، اقتحمها المحققان اقتحام السباح الماهر للجة العويصة المحاطة بالأمواج الهائلة ، ونجحاً في مهمتهما فوصلا الى ساحل السلامة والنجاة » .

■ كما صدر أيضاً عن نادي الطائف الأدبي مزيد من المؤلفات الثقافية منها « من شعر الثورة الفلسطينية » وهو ديوان للشاعر أحمد يوسف ، و « عالم البحار » للعقيد المتقاعد صالح بن محمد بن مشيلح الحربي يتناول فيه جزر فرسان وجزران بالمملكة العربية السعودية من الناحية الجغرافية وما تضمه هذه الجزر من خيرات ، « والتراث العربي الإسلامي في الكوميديا الالهية » لداتي الليجري وترجمة ياسر فتوى . و « موقفنا من الحضارة ضمن الإطار العالمي » وهي محاضرة ألقاها الاستاذ محمد كامل الخجا ، و « الاعلام والتنمية الوطنية في المملكة العربية السعودية » للدكتور سمير محمد حسين ، و « موقفنا من الاعراب في القرن الخامس عشر الهجري » وهي دراسة في تحديد اتجاه التغيير الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للدكتور غازي عبيد مدني ، و ديوان « الشاطئ والسراة » للشاعر محمود عارف ، ثم « الملف الثاني السنوي لنادي الطائف الأدبي » ويضم انتاج نخبة من الشباب السعودي الناشئ في الشعر والقصة والمقالة .

الدم... ما هو؟



شريحة دم مصبغة ويظهر عليها الأنواع المختلفة من الخلايا الحمر والبيض ، وكذلك تظهر صفائح الدم المنتشرة في الشريحة (B)

يعتبر جسم الانسان من معجزات الخالق في خلقه . فقد أودع سبحانه وتعالى هذا الجسم الذي أحسن تقويمه ما عجز عن فهمه بنو البشر رغم ما أحرزوه من تقدم علمي في دنيا الطب لم تشهد لها الانسانية مثيلاً من قبل . ومن هذه المعجزات ذلك السائل الأحمر الذي يجري في عروقنا ، والذي لا حياة لنا بدونه . يتكون الدم من جزئين رئيسيين هما « الخلايا الدموية — cells » و « البلازما — plasma » . وسنلقي فيما يلي نظرة على كل من هذين الجزئين الحيويين .

الخلايا الدموية أو الكريات الدموية

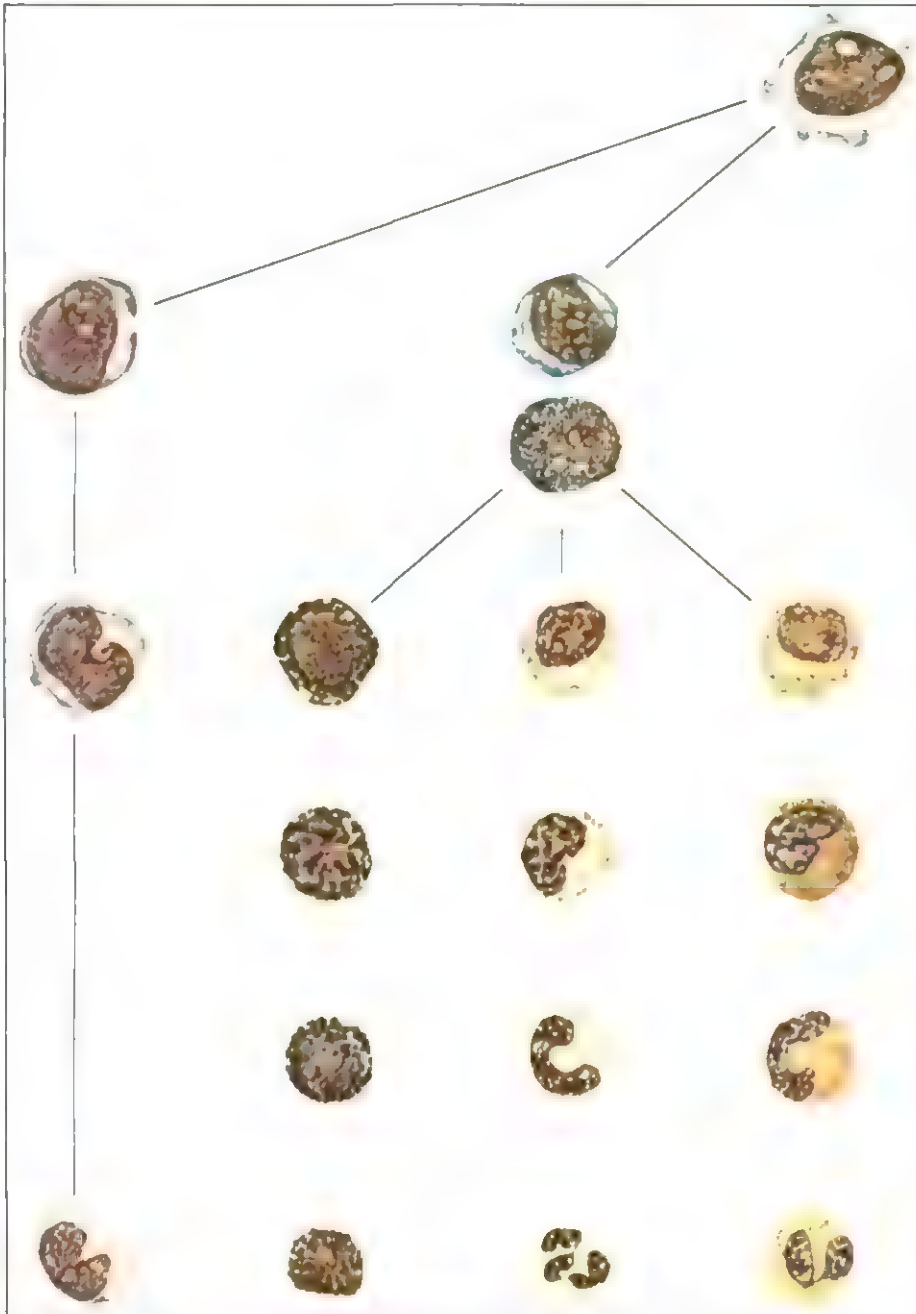
blood cells or corpuscles

يجرى في عروق جسم الانسان ملايين الخلايا ، سابحة في سائل الدم « البلازما » مدفوعة من القلب متجهة الى كل جزء من أجزاء الجسم داخل شبكة معقدة من الأوعية الدموية ، حاملة معها الغذاء ، والأكسجين ، ووسائل الدفاع عن الجسم من كل هجوم خارجي . وخلايا الدم نوعان : حمر وبيض ، كما أن بالدم صفائح دموية ، ولكل من الخلايا الدموية وظيفة خاصة تقوم بها .

خطا علم الطب خطوات سريعة في

وَفِي أَنْفُسِهِمْ أَفْلا يَعْقِلُونَ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

يَقِمْ: الدُّكْتُور أَحْمَد مَلُوح



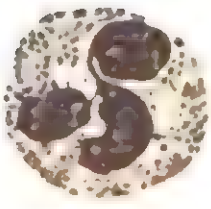
معرفة خبايا هذه الخلايا . وكان لاكتشاف
المجهر الضوئي . ولا شك ، أثر كبير
في دراسة هذه الخلايا وتحديد شكلها .
وقد عزز هذا الاكتشاف ظهور الأصباغ
الكيميائية - stains والأصباغ الحيوية .
ثم جاء المجهر الإلكتروني ليعطينا صورة
دقيقة عن تركيب الخلايا وعملها ،
بالإضافة الى امكان زرع بعض هذه
الخلايا الدموية وملاحظة مراحل نموها
وتطورها تحت مختلف المؤثرات الخارجية .
ومن خلال هذه الدراسات ، تمكن العلم
من اثبات أن جميع خلايا الدم أو الغالبية
العظمى منها تخرج من خلية واحدة هي
« الخلية الأم - stem cell » ، وتتكون هذه
الخلية في نخاع العظم . ولكنها تحت
مؤثرات مختلفة ، تبدأ في الانقسام ، ثم
تأخذ طريقاً معيناً لتنتج خلية أو كرية دم
حمراء ، أو طريقاً أخرى لتنتج خلية أو
كرية دم بيضاء ، أو طريقاً ثالثاً لتنتج
صفائح الدم - platelets .

الخلايا أو الكريات الحمر

Red Blood Cells

يتراوح عدد هذه الخلايا في جسم
الرجل البالغ . بين ٤ ٥٠٠ ٠٠٠
و ٦ ٢٠٠ ٠٠٠ خلية في كل سم^٣ من
الدم . أما في جسم المرأة فيتراوح عددها

تتكون جميع خلايا الدم في نخاع العظم من خلية أم واحدة ، تنقسم وتنضج لتكون الخلايا البيض
والحمر وصفائح الدم . والخلايا البيض ليمفاوية ، أو معتدلة التفاعل ، أو حمضية أو قاعدية .



أكسيد الكربون حيث تتخلص منه في الرئتين ، ومن هنا يتضح لنا أنه بدون هذه المادة تستحيل الحياة . وإذا ما نقصت كمية الهيموجلوبين في الجسم فإن الانسان يصاب بمرض فقر الدم . أما اذا ما زاد عدد الكريات الحمر وزادت كمية الهيموجلوبين على الحد المعقول . فانه يصعب على هذه الكريات

حين تصبح هذه الخلايا في بعض الأمراض ملأى بالهيموجلوبين دون ظهور البقعة البيضاء في وسطها . ولعل من أهم مكونات الكرية الحمراء ، مادة الهيموجلوبين التي تكسب الدم حمرة وتتحده هذه المادة الحيوية بالأكسجين عندما تصل الى الرئتين ثم توزعه على كل خلية من خلايا الجسم ، ثم تعود بثاني

بين ٤٢٠٠٠٠٠ و ٥٤٠٠٠٠٠ خلية في كل سم ٣ من الدم . فلو عرفنا أن معدل ما يحتوى عليه جسم الرجل من الدم هو خمسة لترات لتبين لنا العدد الهائل الذي يحتوى عليه جسم الانسان من هذه الخلايا الدموية .

وتتكون هذه الخلايا ، كما أسلفنا ، في نخاع العظم من « الخلية الأم — stem cell » وبعد نضوجها ، تخرج الى الدم لتقوم بعملها . وهي تعيش في الجسم نحو ١٢٠ يوماً ، ثم تموت ، ليعوض نخاع العظم بدلاً عنها . وفي بعض الأمراض لا تستطيع هذه الخلايا أن تعيش أكثر من بضعة أيام .

وكرة الدم الحمراء مسطحة من الجانبين ، وتظهر على الشريحة الملونة كدائرة تتوسطها بقعة بيضاء محاطة بدائرة حمراء هي المادة الأساسية أو ما تدعى بـ « الهيموجلوبين — hemoglobin » . وقد تطرأ تغيرات على شكل هذه الكرية عند حدوث بعض الأمراض . ففي حال مرض فقر الدم الناتج عن نقص في الحديد ، مثلاً ، يصغر حجمها . فتكبر البقعة البيضاء في وسطها على حساب دائرة الهيموجلوبين . وفي حال « مرض الخلايا المنجلية — sickle cell » تأخذ الخلايا شكل المنجل أحياناً ، في



شريحة تبين الفرق في الحجم بين خلايا حمر أخذت من انسان سليم وآخر مصاب بفقر الدم الخبيث — Peruicians Anemia .



الخلايا وهو مهاجمة كل جسم غريب أو جرثومة ، ثم ابتلاعها وهضمها . وبذلك تعتبر هذه الخلايا بمثابة خط الدفاع الأول عن الجسم ضد هذه الجراثيم . أما النوع الثاني ، وهو الخلايا الليمفاوية ، فقد عجز العلم عن كشف النقاب عن طبيعة عملها مدة طويلة . إلا أنه قد تبين في السنوات القليلة الماضية ، أن الحياة بغير هذه الخلايا تكون مستحيلة . فهي خط دفاع قوي ضد كل جرثومة تحاول التغلغل في الجسم . فهي التي تقوم بصنع الأجسام المضادة - antibody للدفاع عن الجسم . وتوضح أهمية هذه الخلايا في الدفاع عن الجسم ضد « الفيروسات - virusi » والطحالب

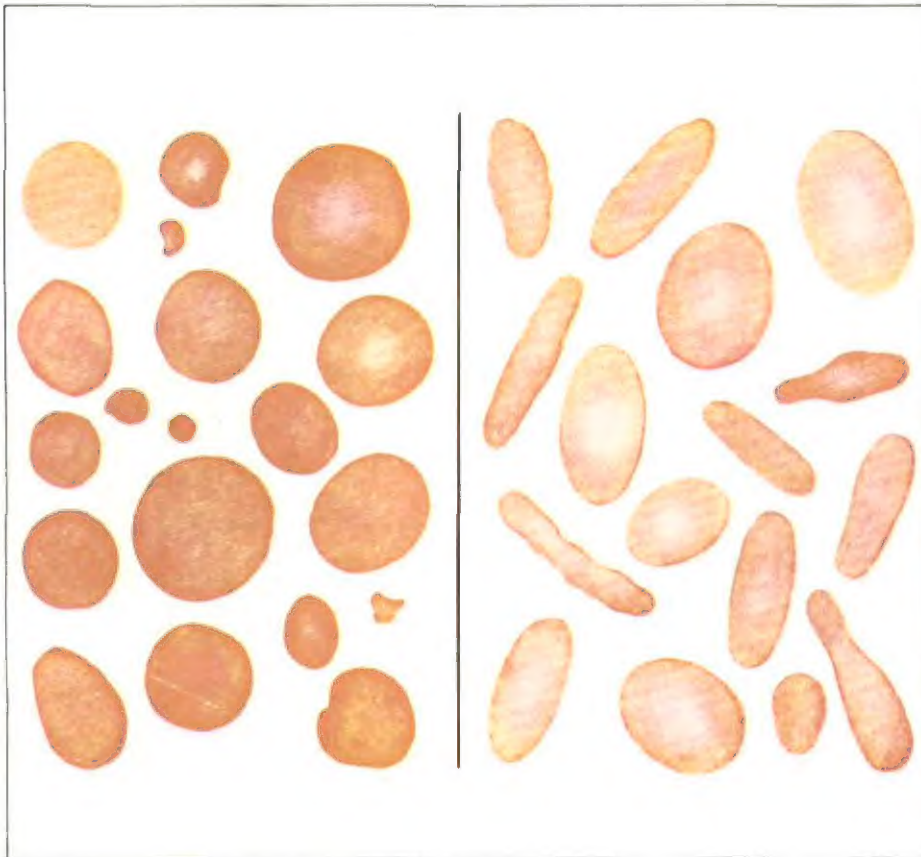
المتحرك في سائل الدم « البلازما » لتزاحمها . الأمر الذي قد يعرض المريض لمخاطر كثيرة .

ومن هنا تظهر حكمة الخالق جلت قدرته بأن جعل هناك توازناً بين نسبة ما يموت من هذه الخلايا ونسبة ما يولد منها . فعندما تموت الكرية الحمراء فإن جدارها ينكسر . وتنقسم مادة الهيموجلوبين إلى مكوناتها حيث يعاد استعمال الحديد والبروتين - globin في الجسم . أما ما تبقى وهي « حمرة الصفراء - bilirubin » فيتخلص منها الجسم .

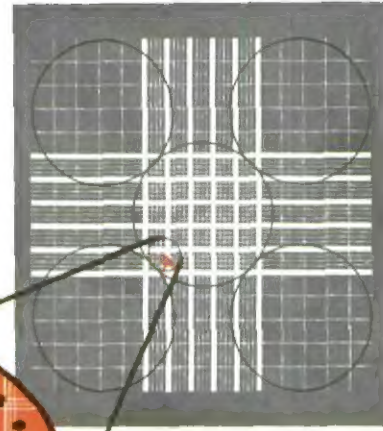
الخلايا أو الكريات البيض

white blood cells

يتراوح عدد الكريات البيض في جسم الإنسان بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ خلية في كل سم^٣ من الدم ، وهي توجد على أنواع عدة ، ولكل نوع منها وظيفته الخاصة به . غير أن بعض هذه الوظائف ما زال سراً غامضاً لم يكشف النقاب عنه . وتختلف أنواع الكريات في الشكل الخارجي وفي النواة وكذلك في تلوونها بصبغة معينة . ومع ذلك فقد عرف العلم النوع الأول من هذه الخلايا المميز بنواة مقسمة وصبغة معتدلة لا حمضية ولا قاعدية .. عرف الوظيفة المهمة التي يقوم بها هذا النوع من



شريحتان من الدم تظهران مرض الدم الكروي Spherocytosis ، وهو مرض وراثي ، ومرض الدم البيضوي - Ovalocytosis وهو وراثي أيضاً .



السائل الدموي «البلازما»

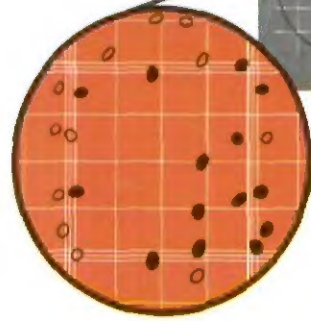
وهو السائل الذي يجري فيه الملايين من الكريات والصفائح الدموية . كما أنه يحتوي على نسب معينة من المواد البروتينية والمعادن والأملاح . فإذا ما زادت أو نقصت هذه النسب ، تعرض الجسم للخطر . وفي هذا السائل تجري أملاح الصوديوم والبوتاسيوم ، والكلوريد ، والمغنسيوم والكالسيوم ، والنحاس ، والحديد ، كما تجري فيه أيضاً البروتينات المسؤولة عن تغذية الجسم وحمايته ، والمواد الدهنية والنشوية الى جانب فضلات الجسم ، لتصل الى مكان عملها أو مكان إفرازها .

كذلك يحتوي هذا السائل على جميع العوامل الضرورية لتخثر الدم عند حدوث جرح أو في حال اجراء عملية جراحية ، كما أن الأدوية التي يتعاطاها المريض تتخذ طريقها الى الأجزاء المصابة من الجسم بواسطة هذا السائل ، وكذلك الهرمونات والانزيمات .

وبعد ، هذه لمحات سريعة عن أهمية هذا السائل لجسم الانسان ، مع العلم أن هناك الكثير من أسرار هذا السائل ما زالت غامضة لم يكشف النقاب عنها ، بعد . والله في خلقه شؤون .

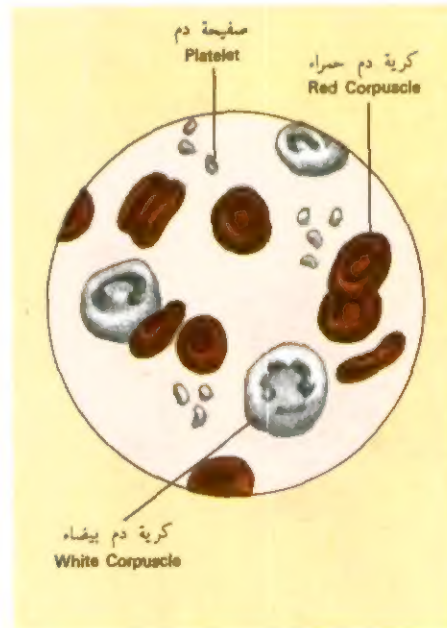
د . أحمد ملوح

الولايات المتحدة الأمريكية



رسم توضيحي يمثل عملية عد خلايا الدم في جسم الانسان .

بحياة الانسان . ويتراوح عدد هذه الصفائح بين ١٥٠.٠٠٠ و ٤٥٠.٠٠٠ في كل سم^٣ . وقد ينقص هذا العدد نتيجة لزيادة استهلاكه أو لنقص إنتاجه في نخاع العظم ، وكلتا الحالتين قد تحدث في كثير من الأمراض .



رسم يمثل كريات الدم الحمر والبيض وكذلك صفائح الدم التي يتكون منها دم الانسان .

fungi » وكذلك ضد جرثومة السل وغيرها ، من الأجسام الغريبة .

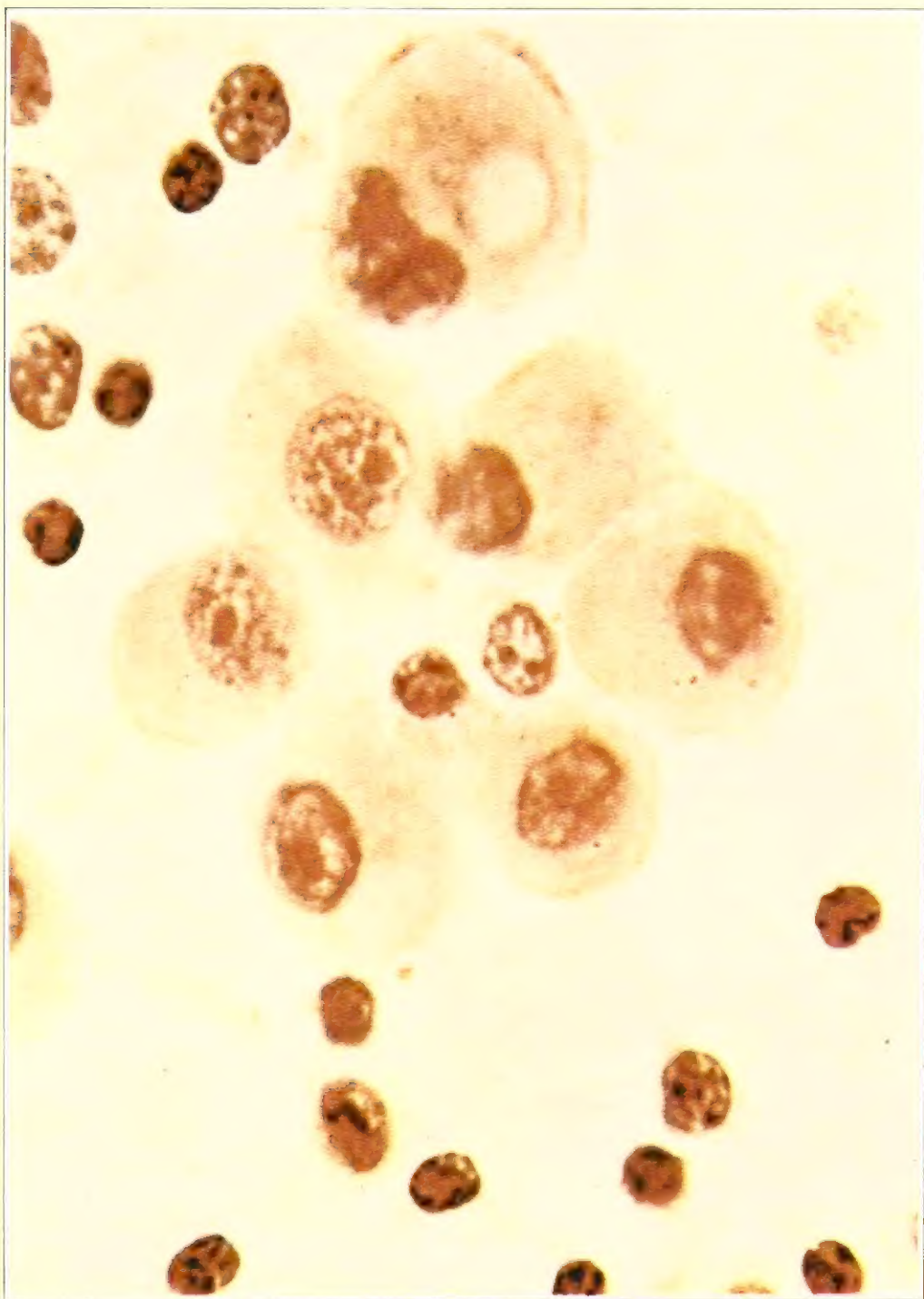
ولعل من أغرب هذه الخلايا الليمفاوية ما يسمى بـ « الخلايا ذات الذاكرة — memory cells » . فهذا النوع من الخلايا يحتفظ بذاكرة غريبة عندما يتعرض الجسم لشيء غريب .. فإذا ما حدث وتعرض الجسم لأشياء غريبة فإن هذه الخلايا تقوم بتذكير الجسم بذلك المعتدي استعداداً لمواجهة والتصدي له .

صَفائح الدم

Platelets

انها ليست خلايا بالمعنى الصحيح ، فهي لا تحتوي على نواة . وتظهر على شريحة الدم الملونة كحبيبات رمل دقيقة . وقد كان الاعتقاد السائد لفترة من الزمن ، أنه لا عمل لهذه الصفائح ، وما هي إلا بقايا خلايا أو أضرار ناتجة عن تحضير الشريحة للفحص .

ول هذه الصفائح دور أساسي في تخثر الدم ووقف النزيف . وبدون هذه الصفائح أو في عدم توفر العدد الكافي منها ، فإن أي جرح صغير يصاب به الجسم قد يظل ينزف حتى الموت ، أو ربما يحدث نزيف في جزء حيوي كالدماع مثلاً ، فيودي



صورة مكبرة لعينات من خلايا الدم .

لوحته فنية تعبر عن الفصحى في أعماق البحار.
راجع مقال: "الفصحى ورواد الأعماق"

